أحسن الحديث

سعيد بن محمد آل ثابت

أحسن الحديث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعدُ. فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ . وخيرَ الهديِ هديُ محمدٍ . وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها . وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ..

كانوا أمماً متناحرة على أرض جرداء، همهم بطونهم وقضاء شهواتهم، لا حضارة يشاد بها سوى ما كان من بيوت الشعر، والتي كانت في الثارات والغزل غير العذري ومعاقرة الخمور والأصنام والبغاء وسلب المسافر وظلم الضعيف تذكر فتذكر تلك الجاهلية السوداء، حتى جاء الحق بنور من السماء، فأضاء لهم تلك الغياهب ونقلهم من ضيق الدنيا لسعة الدنيا والآخرة، ودانت لهم قيصر وكسرى، وفتحوا الأرض وعمروها، ولكن بعد أن تغيرت فهومهم وازدانت تصوراتهم.

وفي هذه الورقة لعلي أشير لأعظم مكوّن لنفوس المؤمنين، وأبرز مادة انتهلوها ليتغيروا ذلكم التغير، ذلكم الكتاب العزيز "أحسن الحديث"، الذي ما من عبد رامه وجعله نصب عينيه إلا سعد في الدارين، وقد أجمل وصفه من قال: (فيه نبأُ ما قبلكم وفصلُ ما بينكم وخبرُ ما بعدكم، وهو الفصلُ ليس بالهزلِ، من تركه من جبَّارٍ قصمه اللهُ، ومن ابتغَى الهُدَى في غيرِه أضلَّه اللهُ، وهو حبلُ اللهِ المتينُ وهو الذِّكرُ الحكيمُ، وهو الصِّراطُ المستقيمُ وهو الَّذي لا تلتبِسُ به الألسُنُ[1] ولا تزيغُ به الأهواءُ، ولا يخلَقُ عن كثرةِ الرَّدِّ ولا يشبَعُ منه العلماءُ، ولا تنقضي عجائبُه وهو الَّذي لم يتناهَ الجنُّ إذ سمِعتْه أن قالوا إنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن اعتصم به هُدِي إلى صراطٍ مستقيمٍ)[2]. ولعلها تكون إشارات سريعة حول أثر القرآن، وأهميته، وكيف نفيد منه، ومن ثم بعض التأملات والتدبرات، وأرجو الله الهداية والرشد والإعانة والسداد.

الموضوعات:

- **تأمل واقعهم (قبل الإسلام):**
- **تأمل واقعهم (بعد الإسلام):**
- **لماذا القرآن؟**
- **كيف ننتفع بالقرآن؟**

---

[1] وهذا من عجيبه، فتتلوه الألسن غير العربية غضاً طرياً مع عجمتها تماماً إن نطقت بغيره.

[2] رواه الترمذي وأحمد والنسائي مرفوعاً للنبي صلى الله عليه وسلم عن علي بن أبي طالب ، وقال الترمذي: إسناده مجهول وفيه الحارث، وضعفه الألباني، ولعله موقوفاً على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

❖ تأملات في آيات:

❖ تدبرات :

❖ أمثلة لإحدى وسائل التدبر:

❖ الخاتمة:

❖ تأمل واقعهم (قبل الإسلام):

١. (القلوب المتكبرة تخضع للقرآن):

ذكر محمد بن إسحاق، عن الزهري، في قصة أبي جهل حين جاء يستمع قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – من الليل، هو وأبو سفيان صخر بن حرب والأخنس بن شريق ، ولا يشعر واحد منهم بالآخر. فاستمعوها إلى الصباح، فلما هجم الصبح تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فقال كل منهم للآخر: ما جاء بك؟ فذكر له ما جاء له ثم تعاهدوا ألا يعودوا، لما يخافون من علم شباب قريش بهم، لئلا يفتتنوا بمجيئهم فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم ظنا أن صاحبيه لا يجيئان، لما تقدم من العهود، فلما أجمعوا جمعتهم الطريق، فتلاوموا، ثم تعاهدوا ألا يعودوا. فلما كانت الليلة الثالثة جاؤوا أيضا، فلما أصبحوا تعاهدوا ألا يعودوا لمثلها، ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها. قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به .

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه في بيته فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا،

وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه، قال: فقام عنه الأخنس وتركه .

فيا لله كم كان لتراتيل النبي ليلاً ما أخضع لها قلوبٌ كالحجارة! ومن ثم لا ترجو إلا أن تكون رابعهم في الاستماع، ومع ذلك لم يتركهم العناد والاستكبار!

٢. (كاد قلبي أن يطير):

جاء جبير بن مطعم يفاوض في أسرى بدر؛ لما لأبيه من مكانة عند النبي صلى الله عليه وسلم، حيث أن أباه مطعم بن عدي أجار النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم من الطائف ، فحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الجميل فقال في أسرى بدر لو كان المطعم حيا وكلمني فيهم لتركتهم له، فجاء ابنه جبير للنبي صلى الله عليه وسلم يفاوضه في أسرى بدر فانتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي المغرب يؤم الناس في المسجد، قال: سمعتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقرأُ في المغربِ بالطُّورِ ، فلمَّا بلغَ هذه الآية: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ. أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ. أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُسَيْطِرُونَ}. قال: كادَ قلبِي أنْ يطيرَ . رواه البخاري.

أتى معانداً بل يشفع في المشركين لكن أخذت هذه الآيات بتلابيبه لترجف به وتسقط وبال الجاهلية وتفتح قلبه لهذا النور العظيم، فكم سمعنا تلك الآيات وترددت المرات تلو المرات، ولكن ما الذي لم يجعلها تفعل ما فعلت في جبير رضي الله عنه، وتجعلنا نقول ما قال (كاد قلبي أن يطير)؟

٣. (أحسن وأعدل ما سمعت!):

عن محمد بن إسحاق قال: كان رسول الله على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب، وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله بها فمشى إليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلاً شريفًا فقالوا له: أبا الطفيل، إنك قدمت بلادنا فهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، فرق جماعتنا، وأما قوله كالسحرة يفرق بين المرء وبين أبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمع منه، قال:

فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفًا من أن يبلغني من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه.

قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله قائم يصلي عند الكعبة قال فقمت قريبًا منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله: قال: فسمعت كلامًا حسنًا. قال فقلت في نفسي واثكل أمي إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليَّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته، فمكثت حتى انصرف رسول الله إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا لي، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه فسمعت قولاً حسنًا فاعرض علي أمرك، فعرض عليَّ الإسلام وتلا عليَّ القرآن، فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن ولا أمرًا أعدل منه، وقال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق.

وهذا لعمري أثر وعمل هذا الكتاب المهيمن إذا تجرد السامع عن كل هوى يحول بينه وبين اتباع الحق الذي فيه.

٤. (سادات القوم يقبلون بوجه غير الذي ذهبوا به):

ولإسلامهم (سادات الأنصار) قصة ساقها ابن اسحاق قال: وحدثني عبيدالله بن المغيرة بن معيقب، وعبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، و دار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ بنى خالة أسعد بن زرارة فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر، فجليا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم. وسعد بن معاذ و أسيد بن حضير، يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبالك، انطلق إلى هذين الرجلين الذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما و انهما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أُكلمه، قال فوقف عليهما متشمتاً: فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس

فتسمع: فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره؟ فقال: أنصفت، ثم ركز حربته، وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا: والله لقد عرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقة وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين. قالا له: تغتسل فتطهر، وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، فقام واغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، وهو سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته، وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد مقبلاً، قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه لذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي، قال له سعد: ما فعلت؟ قال كلمت الرجلين، فو الله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضباً مبادراً، تخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليها فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشمتاً، ثم قال لأسعد بن زرارة يا أبا أمامة! والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب جاءك والله سيد من وراءه قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت امراً أو رغبت فيه قبلته، إن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة، جلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقة وتسهله ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا تغتسل فتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصل ركعتين، فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، ثم تشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة.

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبقى دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات، إلا ما كان من الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم، واستشهد بأحد، ولم يصلِّ لله بسجدة قط، وأخبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه من أهل الجنة.

وقد روى ابن اسحاق بإسناد حسن عن أبي هريرة أنه كان يقول: (حدِّثوني عن رجل دخل الجنة لم يصلِّ صلاة قط، فإذا لم يعرفه الناس قال هو أصيرم بني عبد الأشهل).

فتأمل كيف هي الوسيلة الفريدة التي استخدمها مصعب في الدعوة. وكيف لانت لها قلوب أولئك الصحب الكرام رغم إعراضهم بادئ الرأي "فذكر بالقرآن ممن يخاف وعيد".

٥. (سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، ليس بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة):

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيدا ، قال يوما وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون ؛ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد ، أسمع ؛ قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له .

حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه ، قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاسمع مني ؛ قال : أفعل ؛ فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبة ، أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ؛ ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

٦. (الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة):

روى الحاكم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً! قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟! فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه! قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر (يؤثر يأثره عن غيره)، فنزلت: ذرني ومن خلقت وحيداً. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

٧. (إنا سمعنا قرآناً عجباً):

عن ابن عباس قال : ما قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على الجن ولا رآهم ، انطلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء . فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو بنخلة عامدا إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا – والله – الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم ، قالوا : يا قومنا ، إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي إلى الرشد فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا ، وأنزل الله على نبيه (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن)] الجن : ١] ، وإنما أوحي إليه قول الجن . رواه البخاري ومسلم.

فيا لله كيف كان عمل القرآن في الجن الذين ما فتئوا أن يسمعوه حتى صدعوا بالحق دعاة "وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ" (الأحقاف:٢٩).

٨. (إنه لصادق وإنهم لكابون):

عن أبي ذر الغفاري، رضي الله عنه، قال: خرجنا من قومنا غفار، وكان يحلون الشهر الحرام، فخرجت وأخي أنيس وأمُنا، (فذكر قصة إسلامه)، وفيها قال أبو ذر: قال أنيسٌ : إنَّ لي حاجةً بمكةَ فاكفِني . فانطلق أنيسٌ حتى أتى مكةَ . فراث عليَّ . ثم جاء فقلتُ : ما صنعتَ ؟ قال : لقيتُ رجلًا بمكةَ على دِينِك . يزعمُ أنَّ اللهَ أرسلَه . قلتُ : فما يقول الناسُ ؟ قال : يقولون : شاعرٌ ، كاهنٌ ، ساحرٌ . وكان أنيسٌ أحدُ الشعراءِ . قال أنيسٌ : لقد سمعتُ قولَ الكهنةِ . فما هو

بقولهم . ولقد وضعتُ قولَه على أقراءِ الشِّعْرِ . فما يلتئمُ على لسانِ أحدٍ بعدي ؛ أنَّهُ شِعْرٌ . واللهِ ! إنَّهُ لصادقٌ . وإنهم لكاذبون .[٣]

٩. (والله لقد نزل بكم أمر عظيم):

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : " قَامَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ مَا ابْتُلِيتُمْ بِمِثْلِهِ ، لَقَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلامًا حَدَثًا أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا ، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدْغَيْهِ الشَّيْبَ ، وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ ، قُلْتُمْ : سَاحِرٌ ، لا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ ، قَدْ رَأَيْنَا السَّحَرَةَ وَنَفْثَهُمْ وَعَقْدَهُمْ ، وَقُلْتُمْ : كَاهِنٌ ، لا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ ، قَدْ رَأَيْنَا الْكَهَنَةَ وَحَاهَُمْ ، وَسَمِعْنَا سَجْعَهُمْ ، وَقُلْتُمْ : شَاعِرٌ ، لا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ : لَقَدْ رَأَيْنَا الشِّعْرَ وَسَمِعْنَا أَصْنَافَهُ كُلَّهَا هَزَجَهُ ، وَرَجَزَهُ وَقَرِيضَهُ ، وَقُلْتُمْ : مَجْنُونٌ ، وَلا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ وَلا وَسْوَسَتِهِ وَلا تَخْلِيطِهِ ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، انْظُرُوا فِي شَأْنِكُمْ ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَكَانَ النَّضْرُ مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ ، وَمِمَّنْ كَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَنْصِبُ لَهُ الْعَدَاوَةَ "[٤].

لقد صدح بهذه الحقيقة من سافر شرقاً وغرباً يطلب أخبار الفرس والروم وأساطيرهم، لعله ينحرف ببوصلة التأثير بحديثه، وسأل اليهود، واستأجر القيان، ورجى إغواء الناس، وآذى النبي صلى الله عليه وسلم، وشارك في كتابة الصحيفة، وكاد بالمسلمين، وقاتلهم وآذاهم، ولكنه استسلم للحق الذي هو أحق أن يتبع، وإن لم يسلم.

❖ تأمل واقعهم (بعد الإسلام):

١. (يخترق السهم جسده ولا يقطع تلاوته):

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فِى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ فَأُصِيبَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَافِلاً وَجَاءَ زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِباً فَحَلَفَ أَنْ لاَ يَنْتَهِىَ حَتَّى يُهَرِيقَ دَماً فِى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ –صلى الله عليه وسلم– فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِىِّ –صلى الله عليه وسلم– فَنَزَل النَّبِىُّ –صلى الله عليه وسلم– مَنْزِلاً فَقَالَ: « مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ؟ ». فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالاَ نَحْنُ يَا رَسُولَ

[٣] رواه مسلم.
[٤] دلائل النبوة للبيهقي.

اللَّهِ. قَالَ « فَكُونُوا بِفَمِ الشِّعْبِ ». قَالَ: كَانُوا نَزَلُوا إِلَى شِعْبٍ مِنَ الوادي فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلاَنِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ قَالَ الأَنْصَارِيُّ للمهاجرين: أي اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيَكَهُ أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ؟ قَالَ: اكْفِنِي أَوَّلَهُ . فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ فَنَامَ وَقَامَ الأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي وَأَتَى الرَّجُلُ فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ الْقَوْمِ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِماً، ثمَ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِماً ثمَّ عَادَ لَهُ بِثَالِثٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ ثمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ فَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أُوتِيتَ. فَوَثَبَ فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذِرُوا بِهِ فَهَرَبَ فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالأَنْصَارِيِّ مِنَ الدِّمَاءِ قَالَ: سَبْحَانَ اللَّهِ أَلاَ أَهْبَبْتَنِي. قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِذَهَا. فَلَمَّا تَابَعَ عَلَي الرَّمْىَ رَكَعْتُ فَأُرِيتُكَ وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْلاَ أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْراً أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– بِحِفْظِهِ لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنْفِذَهَا. رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألباني.

وهذا من أعجب والله ما يسمع عمن تلذذ بالقرآن وامتزجت مهجته معه حتى قدمه على كل شيء، فلولا أن هذا الأثر جاءنا بالسناد الصحاح لما قبلته العقول، ولكن هذا عمل القرآن، فكيف استمر قائماً يستلذ بالقرآن وتلاوته، والسهم تلو السهم ينفذ في جسده ويمزق ما يجد من لحم وأوردة وأنسجة وهو ينزعه، وليس سهماً بل ثلاثة، ثم يقسم أنه ما أنجز صلاته إلا خوفاً على الثغر، لقد تحلت ألسنتهم بالتلاوة، وخالط قلوبهم حسن التدبر، فكانت الدنيا في كفة، والعيش مع القرآن مع علو الترقي به في كفة أخرى.

٢. (عمر يخر مضطرباً لقَسَمٍ في القرآن) :

في فضائل القرآن لأبي عبيد، قال حدثني محمد بن صالح، عن هشام بن حسان، عن الحسن، قال: " قرأ عمر بن الخطاب، رضوان الله عليه "إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع" قال: فربا منها ربوة عيد منها عشرين يوما".

وفي الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا، حدثني محمد، قال حدثني أحمد بن سهل الأردني، قال حدثنا سويد بن عبدالعزيز، عن شيبان، عن الشعبي، قال : سمع عمر بن الخطاب رجلا يقرأ : "إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع" فجعل يبكي حتى اشتد بكاؤه، ثم خر يضطرب، فقيل له في ذلك، فقال : دعوني، فإني سمعت قسم حق من ربي.

٣. (القرآن يعلو بصاحبه):

كان عامل عمر على مكة فلقيه بعسفان فقال له: من استخلفت؟ فقال: استخلفت ابن أبزى مولى لنا، فقال عمر استخلفت مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض فقال عمر: أما إن نبيكم قد قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين". رواه مسلم.

فها هو عمر القرشي الذي يعلم بطون مكة وأفخاذها يأخذه العجب لما سمع باسم ليس من بطون قريش أو قبيلة عريقة يُعهد إليه أمر مكة، وكيف ساد ولم يعارضوه، ولكن هذا العجب وقف لما علم بالنسب الجديد واللقب الذي لا يَهُن، وهو العلاقة مع القرآن والعلم به؛ فاختلفت مؤشرات الكرامة ورفعة المكانة عندهم عن جاهليتهم.

٤. (عالمٌ يعرض القرآن على عالمٍ ثلاثاً) :

قال مجاهد عرضت القران على ابن عباس ثلاث عرضات، وأقف عند كل آية أسأله فيما نزلت .

والناظر في هذا الأثر بعبرة وتأمل، يتساءل كيف لعالم عربي قرشي يعرض القرآن ثلاثاً يسأله عن كل آية، وليس هذا، ثم يتكرر هذا الأمر مرتين!

إنه ليس الجهل أو العجمة، فمن هو مجاهد؟! لكنه الالتذاذ بهذا القرآن، وحب الدنو منه، وإعادته مرة بعد مرة لا تزيد إلا اكتشاف اللآلئ واكتناز الدرر.

❖ لماذا القرآن؟

بدايةً دوننا هذه الآيات نتأملها:

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [الإسراء: ٨٨].

﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ۝ فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾ [هود: ١٣-١٤].

﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ۝ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

لقد ثبت عجز البشر عن الإتيان بمثله أو مثل بعضه في ألفاظه ومعانيه تحداهم بأن يأتوا بأقصر سورة من مثله على مثاله في النظم والتأليف والإحكام وفي المعاني والدلالات والأحكام فعجزوا عن معارضته في كل ذلك وعن مماثلته بعباراتهم أو مجاراته ببيانهم أو مسابقته بقوانينهم وشرائعهم مع أن حروفه من حروف كلامهم ومفرداته من مفردات قاموسهم فلم يجدوا له في ألسنتهم مع الفصاحة ولا في عقولهم مع الرجاحة ما يمكنهم به أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه فقد أبت قوانين الشعر وأساليب النثر ولوائح الأنظمة أن يقايس بها ويجري عليها ذلك لأنه كلام رب العالمين تبارك وتعالى وكلامه سبحانه من صفاته وهو الذي لا مثل له في ذاته ولا في صفاته.

ولمحة سريعة في كتاب الله مرتبة حسب المصحف، وبعدها في سنة رسوله عليه الصلاة والسلام تجيب عن (لماذا القرآن؟)، وهو عرض دون تفصيل وإسهاب، فيكفي الإشارة للآية، وللمتدبر أن يسبح معها بطريقته الخاصة. فإلى الآيات:

١. ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِن تُطيعوا فَريقًا مِنَ الَّذينَ أوتُوا الكِتابَ يَرُدّوكُم بَعدَ إيمانِكُم كافِرينَ ۝ وَكَيفَ تَكفُرونَ وَأَنتُم تُتلى عَلَيكُم آياتُ اللَّهِ وَفيكُم رَسولُهُ وَمَن يَعتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١]، القرآن عاصم من الفتن.

٢. ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ قَد جاءَكُم بُرهانٌ مِن رَبِّكُم وَأَنزَلنا إِلَيكُم نورًا مُبينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، القرآن هو البرهان والنور المبين.

٣. ﴿يا أَهلَ الكِتابِ قَد جاءَكُم رَسولُنا يُبَيِّنُ لَكُم كَثيرًا مِمّا كُنتُم تُخفونَ مِنَ الكِتابِ وَيَعفو عَن كَثيرٍ قَد جاءَكُم مِنَ اللَّهِ نورٌ وَكِتابٌ مُبينٌ ۝ يَهدي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النّورِ بِإِذنِهِ وَيَهديهِم إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، القرآن هداية وخروج من الظلمات إلى النور.

٤. ﴿وَأَنزَلنا إِلَيكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكِتابِ وَمُهَيمِنًا عَلَيهِ فَاحكُم بَينَهُم بِما أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِع أَهواءَهُم عَمّا جاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلنا مِنكُم شِرعَةً وَمِنهاجًا وَلَو شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً واحِدَةً وَلكِن لِيَبلُوَكُم في ما آتاكُم فَاستَبِقُوا الخَيراتِ إِلَى اللَّهِ مَرجِعُكُم جَميعًا فَيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم فيهِ تَختَلِفونَ﴾ [المائدة: ٤٨]القرآن هو المهيمن على ما بين يديه من الكتب فما وافقه منها فهو الحق، وما خالفه فهو الباطل.

٥. ﴿قُل أَيُّ شَيءٍ أَكبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهيدٌ بَيني وَبَينَكُم وَأوحِيَ إِلَيَّ هذَا القُرآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُم لَتَشهَدونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخرى قُل لا أَشهَدُ قُل إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَإِنَّني بَريءٌ مِمّا تُشرِكونَ﴾[الأنعام: ١٩]، القرآن نذارة من الله.

٦. ﴿وَهذا كِتابٌ أَنزَلناهُ مُبارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذي بَينَ يَدَيهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ القُرى وَمَن حَولَها وَالَّذينَ يُؤمِنونَ بِالآخِرَةِ يُؤمِنونَ بِهِ وَهُم عَلى صَلاتِهِم يُحافِظونَ﴾ [الأنعام: ٩٢].

٧. ﴿وَهذا كِتابٌ أَنزَلناهُ مُبارَكٌ فَاتَّبِعوهُ وَاتَّقوا لَعَلَّكُم تُرحَمونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، القرآن مبارك.

٨. ﴿أَو تَقولوا لَو أَنّا أُنزِلَ عَلَينَا الكِتابُ لَكُنّا أَهدى مِنهُم فَقَد جاءَكُم بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُم وَهُدًى وَرَحمَةٌ فَمَن أَظلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآياتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنها سَنَجزِي الَّذينَ يَصدِفونَ عَن آياتِنا سوءَ العَذابِ بِما كانوا يَصدِفونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، القرآن بيّنة من الله وهدى ورحمة.

٩. ﴿كِتابٌ أُنزِلَ إِلَيكَ فَلا يَكُن في صَدرِكَ حَرَجٌ مِنهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكرى لِلمُؤمِنينَ﴾ [الأعراف: ٢]، القرآن ذكرى للمؤمنين.

١٠. ﴿وَلَقَد جِئناهُم بِكِتابٍ فَصَّلناهُ عَلى عِلمٍ هُدًى وَرَحمَةً لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]، القرآن كتاب مفصل مُبين.

١١. ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ قَد جاءَتكُم مَوعِظَةٌ مِن رَبِّكُم وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدورِ وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ﴾ [يونس: ٥٧]، القرآن أعظم موعظة وشفاء وهدى ورحمة للمؤمنين.

١٢. ﴿قُل يا أَيُّهَا النّاسُ قَد جاءَكُمُ الحَقُّ مِن رَبِّكُم فَمَنِ اهتَدى فَإِنَّما يَهتَدي لِنَفسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيها وَما أَنا عَلَيكُم بِوَكيلٍ ۝ وَاتَّبِع ما يوحى إِلَيكَ وَاصبِر حَتّى يَحكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيرُ الحاكِمينَ﴾ [يونس: ١٠٨-١٠٩]، من اتبع القرآن هُدِي ووُقي.

١٣. ﴿فَاستَقِم كَما أُمِرتَ وَمَن تابَ مَعَكَ وَلا تَطغَوا إِنَّهُ بِما تَعمَلونَ بَصيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، الاستقامة الحق بما أُمر لا بما يرى، وأعظم ما أمر به النبي وأمته هو القرآن.

١٤. ﴿نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ بِما أَوحَينا إِلَيكَ هذَا القُرآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِنَ الغافِلينَ﴾ [يوسف: ٣]، القرآن به أحسن القصص وأصدقها وأبلغها.

١٥. ﴿وَلَو أَنَّ قُرآنًا سُيِّرَت بِهِ الجِبالُ أَو قُطِّعَت بِهِ الأَرضُ أَو كُلِّمَ بِهِ المَوتى بَل لِلَّهِ الأَمرُ جَميعًا أَفَلَم يَيأَسِ الَّذينَ آمَنوا أَن لَو يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النّاسَ جَميعًا وَلا يَزالُ الَّذينَ كَفَروا تُصيبُهُم بِما صَنَعوا قارِعَةٌ أَو تَحُلُّ قَريبًا مِن دارِهِم حَتّى يَأتِيَ وَعدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخلِفُ الميعادَ﴾ [الرعد: ٣١]، لو كان كتابا تزال به الجبال وتشقق به الأرض لكان القرآن!

١٦. ﴿إِنّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنّا لَهُ لَحافِظونَ﴾ [الحجر: ٩]، القرآن محفوظ من كل خطأ وزلل!

١٧. ﴿ وَأَنزَلنا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ﴾ [النحل: ٤٤]، القرآن للبيان، وهو خير ما يُعمل فيه الفكر والتدبر.

١٨. ﴿إِنَّ هذَا القُرآنَ يَهدي لِلَّتي هِيَ أَقوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤمِنينَ الَّذينَ يَعمَلونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُم أَجرًا كَبيرًا﴾ [الإسراء: ٩]القرآن هادي المؤمنين ومبشرهم.

١٩. ﴿وَلَقَد صَرَّفنا في هذَا القُرآنِ لِيَذَّكَّروا وَما يَزيدُهُم إِلّا نُفورًا﴾ [الإسراء: ٤١]، القرآن ذكرى.

٢٠. ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ وَلا يَزيدُ الظّالِمينَ إِلّا خَسارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، القرآن نعمة على أهله نقمة على أعدائه.

٢١. ﴿قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلى أَن يَأتوا بِمِثلِ هذَا القُرآنِ لا يَأتونَ بِمِثلِهِ وَلَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهيرًا ۝ وَلَقَد صَرَّفنا لِلنّاسِ في هذَا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكثَرُ النّاسِ إِلّا كُفورًا﴾ [الإسراء: ٨٨-٨٩]، القرآن معجز في كل شيء، وبه بيان الأمور مع التنويع فيه من كل ما يُعتبر به.

٢٢. ﴿وَبِالحَقِّ أَنزَلناهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ وَما أَرسَلناكَ إِلّا مُبَشِّرًا وَنَذيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، القرآن هو الحق وبه الحق.

٢٣. ﴿الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي أَنزَلَ عَلى عَبدِهِ الكِتابَ وَلَم يَجعَل لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١].

٢٤. ﴿فَإِنَّما يَسَّرناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَومًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، القرآن بشارة ونذارة.

٢٥. ﴿ما أَنزَلنا عَلَيكَ القُرآنَ لِتَشقى ۝ إِلّا تَذكِرَةً لِمَن يَخشى ۝ تَنزيلًا مِمَّن خَلَقَ الأَرضَ وَالسَّماواتِ العُلَى﴾ [طه: ٢-٤]، القرآن سعادة، وذكرى.

٢٦. ﴿وَكَذلِكَ أَنزَلناهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفنا فيهِ مِنَ الوَعيدِ لَعَلَّهُم يَتَّقونَ أَو يُحدِثُ لَهُم ذِكرًا﴾ [طه: ١١٣]، القرآن قنطرة التقوى.

٢٧. ﴿لَقَد أَنزَلنا إِلَيكُم كِتابًا فيهِ ذِكرُكُم أَفَلا تَعقِلونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

٢٨. ﴿وَهذا ذِكرٌ مُبارَكٌ أَنزَلناهُ أَفَأَنتُم لَهُ مُنكِرونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

٢٩. ﴿أَفَلَم يَدَّبَّرُوا القَولَ أَم جاءَهُم ما لَم يَأتِ آباءَهُمُ الأَوَّلينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، القرآن موقظ الغافلين.

٣٠. ﴿وَلَقَد أَنزَلنا إِلَيكُم آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم وَمَوعِظَةً لِلمُتَّقينَ﴾ [النور: ٣٤].

٣١. ﴿لَقَد أَنزَلنا آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَاللَّهُ يَهدي مَن يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾ [النور: ٤٦].

٣٢. ﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرقانَ عَلى عَبدِهِ لِيَكونَ لِلعالَمينَ نَذيرًا﴾ [الفرقان: ١]، القرآن الفرقان بين الحقائق والبطلان.

٣٣. ﴿وَلا يَأتونَكَ بِمَثَلٍ إِلّا جِئناكَ بِالحَقِّ وَأَحسَنَ تَفسيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، القرآن أحسن خطاب وأحسن بيان.

٣٤. ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزيلُ رَبِّ العالَمينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأَمينُ ۝ عَلى قَلبِكَ لِتَكونَ مِنَ المُنذِرينَ ۝ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبينٍ ۝ وَإِنَّهُ لَفي زُبُرِ الأَوَّلينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٦]، القرآن شريف منذ صدوره من رب العالمين حتى تلقفه جبريل الروح الأمين لينزل به على محمد الصادق الأمين، فهنا شرف القائل والناقل والمبلغ.

٣٥. ﴿إِنَّ هذَا القُرآنَ يَقُصُّ عَلى بَني إِسرائيلَ أَكثَرَ الَّذي هُم فيهِ يَختَلِفونَ ۝ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ﴾ [النمل: ٧٦-٧٧]، القرآن كاشف للانحرافات، هادٍ في الطرقات، ورحمة للمؤمنين والمؤمنات.

٣٦. ﴿اتلُ ما أوحِيَ إِلَيكَ مِنَ الكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنهى عَنِ الفَحشاءِ وَالمُنكَرِ وَلَذِكرُ اللَّهِ أَكبَرُ وَاللَّهُ يَعلَمُ ما تَصنَعونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، الرسول يؤمر بتلاوة القرآن، وبُدئ بأهميته!

٣٧. ﴿أَوَلَم يَكفِهِم أَنّا أَنزَلنا عَلَيكَ الكِتابَ يُتلى عَلَيهِم إِنَّ في ذلِكَ لَرَحمَةً وَذِكرى لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، كفى بالقرآن رحمة وذكرى!

٣٨. ﴿الم ۝ تَنزيلُ الكِتابِ لا رَيبَ فيهِ مِن رَبِّ العالَمينَ ۝ أَم يَقولونَ افتَراهُ بَل هُوَ الحَقُّ مِن رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَومًا ما أَتاهُم مِن نَذيرٍ مِن قَبلِكَ لَعَلَّهُم يَهتَدونَ﴾ [السجدة: ١-٣]، القرآن حق لا ريب فيه ولا شك.

٣٩. ﴿وَاتَّبِع ما يوحى إِلَيكَ مِن رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعمَلونَ خَبيرًا﴾ [الأحزاب: ٢].

٤٠. ﴿وَاذكُرنَ ما يُتلى في بُيوتِكُنَّ مِن آياتِ اللَّهِ وَالحِكمَةِ إِنَّ اللَّهَ كانَ لَطيفًا خَبيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، تلاوة القرآن في البيوت أمانٌ من الهوى وأمنٌ من الشيطان.

٤١. ﴿إِنَّ الَّذينَ يَتلونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقوا مِمّا رَزَقناهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرجونَ تِجارَةً لَن تَبورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، تلاوة القرآن تجارة لن تبور.

٤٢. ﴿وَالَّذي أَوحَينا إِلَيكَ مِنَ الكِتابِ هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبيرٌ بَصيرٌ ۝ ثُمَّ أَورَثنَا الكِتابَ الَّذينَ اصطَفَينا مِن عِبادِنا فَمِنهُم ظالِمٌ لِنَفسِهِ وَمِنهُم مُقتَصِدٌ وَمِنهُم سابِقٌ بِالخَيراتِ بِإِذنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الفَضلُ الكَبيرُ﴾ [فاطر: ٣١-٣٢]، القرآن تشرفت به الأمة المحمدية.

٤٣. ﴿قُل هُوَ نَبَأٌ عَظيمٌ﴾ [ص: ٦٧].

٤٤. ﴿إِن هُوَ إِلّا ذِكرٌ لِلعالَمينَ﴾ [ص: ٨٧].

٤٥. ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَديثِ كِتابًا مُتَشابِهًا مَثانِيَ تَقشَعِرُّ مِنهُ جُلودُ الَّذينَ يَخشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلينُ جُلودُهُم وَقُلوبُهُم إِلى ذِكرِ اللَّهِ ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهدي بِهِ مَن يَشاءُ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِن هادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، اشتمل ها القرآن على أحسن الكلمات وأفصحها، في تركيب الجمل، وتناسق العبارات، ومقاطع الآيات، فهو الفرد الذي لا نظير له.

٤٦. ﴿وَلَقَد ضَرَبنا لِلنّاسِ في هذَا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرونَ۝ قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيرَ ذي عِوَجٍ لَعَلَّهُم يَتَّقونَ﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨].

٤٧. ﴿وَكَذلِكَ أَوحَينا إِلَيكَ روحًا مِن أَمرِنا ما كُنتَ تَدري مَا الكِتابُ وَلَا الإيمانُ وَلكِن جَعَلناهُ نورًا نَهدي بِهِ مَن نَشاءُ مِن عِبادِنا وَإِنَّكَ لَتَهدي إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، القرآن من لدن الله، نور وهداية.

٤٨. ﴿وَمَن يَعشُ عَن ذِكرِ الرَّحمنِ نُقَيِّض لَهُ شَيطانًا فَهُوَ لَهُ قَرينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، العيش مع القرآن حجابٌ عن كل شيطان.

٤٩. ﴿فَاستَمسِك بِالَّذي أوحِيَ إِلَيكَ إِنَّكَ عَلى صِراطٍ مُستَقيمٍ۝ وَإِنَّهُ لَذِكرٌ لَكَ وَلِقَومِكَ وَسَوفَ تُسأَلونَ﴾ [الزخرف: ٤٣-٤٤]، الاستمساك بالقرآن هداية على الصراط المستقيم.

٥٠. ﴿فَإِنَّما يَسَّرناهُ بِلِسانِكَ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، القرآن ميسر للذكرى والاعتبار.

٥١. ﴿تِلكَ آياتُ اللَّهِ نَتلوها عَلَيكَ بِالحَقِّ فَبِأَيِّ حَديثٍ بَعدَ اللَّهِ وَآياتِهِ يُؤمِنونَ﴾ [الجاثية: ٦]، ليس شيئاً سوى القرآن يزيد الإيمان ويثبت الجنان.

٥٢. ﴿وَلَقَد يَسَّرنَا القُرآنَ لِلذِّكرِ فَهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، القرآن ميسر للذكر والاعتبار.

٥٣. ﴿أَلَم يَأنِ لِلَّذينَ آمَنوا أَن تَخشَعَ قُلوبُهُم لِذِكرِ اللَّهِ وَما نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلا يَكونوا كَالَّذينَ أوتُوا الكِتابَ مِن قَبلُ فَطالَ عَلَيهِمُ الأَمَدُ فَقَسَت قُلوبُهُم وَكَثيرٌ مِنهُم فاسِقونَ۝ اعلَموا أَنَّ اللَّهَ يُحيِي الأَرضَ بَعدَ مَوتِها قَد بَيَّنّا لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُم تَعقِلونَ﴾ [الحديد: ١٦-١٧]، القرآن مُلين للقلوب.

٥٤. ﴿كَلّا إِنَّهُ تَذكِرَةٌ﴾ [المدثر: ٥٤]

٥٥. ﴿عَمَّ يَتَساءَلونَ۝ عَنِ النَّبَإِ العَظيمِ﴾ [النبأ: ١-٢]

٥٦. ﴿نَحنُ أَعلَمُ بِما يَقولونَ وَما أَنتَ عَلَيهِم بِجَبّارٍ فَذَكِّر بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعيدِ﴾]ق: ٤٥[، فبعد هذا العرض اليسير لمكانة القرآن من خلال منزلته وأثره وصفاته لا تكاد نفس المؤمن أن تدنو لغيره، ولا تؤثر غيره عليه، ويكون يومه كله فيه وليس بكثير.

٥٧. فقد خرّج الإمام أحمد من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعا: "إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول: هل تعرفني؟ أنا صاحبك الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وكل تاجر من وراء تجارته، فيُعطى الملك بيمينه والخُلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذّاً كان أو ترتيلا" السلسة الصحيحة.

٥٨. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الماهرُ بالقرآن مع السفرةِ الكرامِ البرَرَةِ . والذي يقرأ القرآنَ ويتَتَعْتَعُ فيه، وهو عليه شاقٌّ، له أجرانِ. وفي روايةٍ: والذي يقرأُ وهو يشتدُّ عليه له أجرانِ". رواه مسلم.

فما أعظم هذه المنزلة، صعود في الدنيا والآخرة، ولا يختص فيها ماهر وغيره فهو بركة على كل من ناله وأخذ به.

٥٩. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تعالى أهلين من الناس. قالوا: يا رسول الله من هم ؟ قال :هم أهل القران أهل الله وخاصته".صحيح الجامع.

٦٠. عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه"رواه مسلم.

٦١. عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذا للقرآن ؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد. رواه البخاري.

٦٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول: يا رب حله، فيلبس تاج الكرامة. ثم يقول: يا رب زده فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة"صحيح الجامع.

٦٣. عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل قبراً ليلاً. فأسرج له سراج فأخذه من قبل القبلة، وقال: "رحمك الله إن كنت لأواهاً تلاء للقرآن وكبر عليه أربعا".قال الترمذي: حديث حسن.

٦٤. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ". رواه أبو داود.

❖ كيف ننتفع بالقرآن؟

بدايةً ﴿يهدِي اللَّهُ لِنورِهِ مَن يَشاءُ﴾ [النور: ٣٥]، فالله برحمته يهدي من يشاء من عباده، قال سبحانه: ﴿كَلّا إِنَّهُ تَذكِرَةٌ ۝ فَمَن شاءَ ذَكَرَهُ ۝ وَما يَذكُرونَ إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ هُوَ أَهلُ التَّقوى وَأَهلُ المَغفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٤-٥٦]، وقال تعالى: ﴿إِن هُوَ إِلّا ذِكرٌ لِلعالَمينَ ۝ لِمَن شاءَ مِنكُم أَن يَستَقيمَ ۝ وَما تَشاءونَ إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ العالَمينَ﴾ [التكوير: ٢٧-٢٩]، فعند التأمل نلحظ أن الله قد أسماه وعبر عنه بـ (التذكرة)، فهو ذكرى وموعظة، وللإنسان قدرة للاتباع والاستجابة ولكنها معلقة بمشيئة الله إن شاء هداه وإن شاء لم يهده، قال تعالى: ﴿إِنَّ هذِهِ تَذكِرَةٌ فَمَن شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبيلًا ۝ وَما تَشاءونَ إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَليمًا حَكيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩-٣٠]، وقد هيأ الله برحمته للعبد قدرة واستجابة وخلق له مشيئة ﴿لِمَن شاءَ مِنكُم أَن يَتَقَدَّمَ أَو يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿إِنّا هَدَيناهُ السَّبيلَ إِمّا شاكِرًا وَإِمّا كَفورًا﴾ [الإنسان: ٣]، فكان مختاراً وليس مجبراً، وعالماً بالطريقين، قال الله: ﴿وَهَدَيناهُ النَّجدَينِ﴾ [البلد: ١٠]، فوجب على العبد أن يعمل ويجد ويجتهد فيما خلقه الله له، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ذاتَ يومٍ جالسًا وفي يدِه عودٌ ينكُتُ به . فرفع رأسَه فقال: " ما منكم من نفسٍ إلا وقد عُلِم منزلُها من الجنةِ والنارِ " . قالوا : يا رسولَ اللهِ ! فلمَ نعملُ ؟ أفلا نتَّكِلُ ؟ قال: " لا . اعمَلوا، فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له " . ثم قرأ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى* إلى قولِه فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى [٩٢ / الليل / ٥ – ١٠]. رواه مسلم.

ثم إن هذا القرآن عظيم طاهر نقي، ومقتضى ذلك أن الذي ينتفع به من آمن بالله وأقبل إليه مهتدياً ﴿وَلَو جَعَلناهُ قُرآنًا أَعجَمِيًّا لَقالوا لَولا فُصِّلَت آياتُهُ أَأَعجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُل هُوَ لِلَّذينَ آمَنوا هُدًى وَشِفاءٌ﴾ وفي المقابل هو للضال الفاجر زيادة ضلالة وعمى ورجس

﴿وَالَّذينَ لا يُؤمِنونَ في آذانِهِم وَقرٌ وَهُوَ عَلَيهِم عَمًى أُولئِكَ يُنادَونَ مِن مَكانٍ بَعيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، وتأمل قول الحق: ﴿وَإِذا ما أُنزِلَت سورَةٌ فَمِنهُم مَن يَقولُ أَيُّكُم زادَتهُ هذِهِ إيمانًا فَأَمَّا الَّذينَ آمَنوا فَزادَتهُم إيمانًا وَهُم يَستَبشِرونَ ۝ وَأَمَّا الَّذينَ في قُلوبِهِم مَرَضٌ فَزادَتهُم رِجسًا إِلى رِجسِهِم وَماتوا وَهُم كافِرونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]، فلا عجب من عدم استجابة الفجار والمتكبرين ﴿ذلِكَ يوعَظُ بِهِ مَن كانَ مِنكُم يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ ذلِكُم أَزكى لَكُم وَأَطهَرُ وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وتأمل: ﴿سَأَصرِفُ عَن آياتِيَ الَّذينَ يَتَكَبَّرونَ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ وَإِن يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤمِنوا بِها وَإِن يَرَوا سَبيلَ الرُّشدِ لا يَتَّخِذوهُ سَبيلًا وَإِن يَرَوا سَبيلَ الغَيِّ يَتَّخِذوهُ سَبيلًا ذلِكَ بِأَنَّهُم كَذَّبوا بِآياتِنا وَكانوا عَنها غافِلينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، فقد منعوا هؤلاء بركة القرآن وتأثيره لما في قلوبهم من الكبر والطغيان، وتأمل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النّاسِ عَداوَةً لِلَّذينَ آمَنُوا اليَهودَ وَالَّذينَ أَشرَكوا وَلَتَجِدَنَّ أَقرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ قالوا إِنّا نَصارى ذلِكَ بِأَنَّ مِنهُم قِسّيسينَ وَرُهبانًا وَأَنَّهُم لا يَستَكبِرونَ﴾ [المائدة: ٨٢]، وكيف أن النصارى كانوا أقرب مودة للمؤمنين وربما إسلاماً لما في قلوبهم من التواضع وعدم الكبر، فمن رام الانتفاع بهذا القرآن فليقبل بمهجته قبل جوارحه لربه، يرجو هذه الرحمة المعطاة. ﴿أَوَلَم يَكفِهِم أَنّا أَنزَلنا عَلَيكَ الكِتابَ يُتلى عَلَيهِم إِنَّ في ذلِكَ لَرَحمَةً وَذِكرى لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾ [العنكبوت: ٥١] فنزوله رحمة وذكرى ولكن للقوم المؤمنين، وقد سماه الله رحمة، فقال سبحانه: ﴿وَقالوا لَولا نُزِّلَ هذَا القُرآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ القَريَتَينِ عَظيمٍ﴾، فرد على اعتراضهم: ﴿أَهُم يَقسِمونَ رَحمَتَ رَبِّكَ نَحنُ قَسَمنا بَينَهُم مَعيشَتَهُم فِي الحَياةِ الدُّنيا وَرَفَعنا بَعضَهُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعضُهُم بَعضًا سُخرِيًّا وَرَحمَتُ رَبِّكَ خَيرٌ مِمّا يَجمَعونَ﴾ [الزخرف: ٣١-٣٢]، فسماه الله رحمة، فتأمل!

إذن ليكن حظ المؤمن الصادق الانتفاع به والإتباع فهو والله الرحمة والنور والهدى والذكرى والشفاء ﴿وَالَّذينَ إِذا ذُكِّروا بِآياتِ رَبِّهِم لَم يَخِرّوا عَلَيها صُمًّا وَعُميانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]. اللهم اجعل القران ربيع قلوبنا !

❖ وسائل الانتفاع بالقرآن:

وللانتفاع بالقران وسائل عديدة، وذلك بعد أن يهيئ العبد نفسه لهذا الخطاب العظيم، ومن ذلك:

١. التدبر والفهم، وهو غاية هذه الرسالة:

قال الله تعالى: ﴿كِتابٌ أَنزَلناهُ إِلَيكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّروا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلبابِ﴾ [ص: ٢٩]، فهو مبارك ومن بركته أنه يهدي النفوس ويحيي القلوب إذا وعته، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعارض جبريل القرآن في كل عام مرة حتى توفاه الله وعارضه قبل وفاته مرتين وكان ذلك في رمضان، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أجودُ الناسِ ، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ ، حين يلقاه جبريلُ ، وكان جبريلُ يلقاه في كلِّ ليلةٍ من رمضانَ فيدارِسُه القرآنَ ، فلَرَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريلُ أجودُ بالخيرِ من الريحِ المرسلةِ. وروى أبو هريرةَ وفاطمةَ رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أن جبريلَ كان يُعارِضُه القرآنَ" رواه البخاري.

فتأمل عظم هذا التأثير في رسول الله حتى كان جوده أعظم من الغيث بعد تدارس القرآن، وتأمل أنهم كانوا يجعلون ذلك ليلاً لما في ذلك من السكينة التي تبعث على الاستيعاب والتدبر وثمة حِكم أخرى.

وانظر كيف أثنى الله على الذين يفقهون ويعقلون القرآن ﴿وَتِلكَ الأَمثالُ نَضرِبُها لِلنّاسِ وَما يَعقِلُها إِلَّا العالِمونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وفي المقابل تجد أناساً لهم قلوب لا يفقهون بها كالأنعام بل أضل سبيلا، كالحجارة بل الحجارة تتفجر منها الأنهار، قلوب لا تخشع ولا تتدبر ولا تفقه ﴿لَو أَنزَلنا هذَا القُرآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيتَهُ خاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِن خَشيَةِ اللَّهِ وَتِلكَ الأَمثالُ نَضرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ﴾ [الحشر: ٢١]، فهذا القرآن عظيمٌ بعظم قائله، وهو يهيمن على النفوس والخلائق، فإذا لم تستوعبه بعض القلوب فهو الران الذي غطى مسامع القلوب. فالتدبر وورد التدبر لا يقل أهمية عن غيره فهو زاد حقيقي وخير محرك مذكر ملهم للإنسان، فلا عبرة بحفظ أو تلاوة دون فهم ووعي ﴿مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوراةَ ثُمَّ لَم يَحمِلوها كَمَثَلِ الحِمارِ يَحمِلُ أَسفارًا بِئسَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمينَ﴾ [الجمعة: ٥]، وهذا تشبيه بليغ في كل من ادعى صلة بأي كتاب دون معرفة محتواه.

٢. التلاوة:

لمضاعفة الأجر وازديان الإيمان ﴿ وَرَتِّلِ القُرآنَ تَرتيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها ، لا أقول ألم حرفٌ ، ولكن ألفٌ حرفٌ ، ولامٌ حَرفٌ ، وميمٌ حَرفٌ" رواه الألباني في صحيح الترغيب. وعن أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "مثلُ المؤمنِ الذي يقرأ القرآنَ مثلُ الأترُجَّةِ. ريحُها طيِّبٌ وطعمُها طيِّبٌ. ومثلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآنَ مثلُ التَّمرةِ. لا ريحَ لها وطعمُها حلوٌ. ومثلُ المنافقِ الذي يقرأ القرآنَ مثلُ الرَّيحانةِ. ريحُها طيِّبٌ وطعمُها مُرٌّ. ومثلُ المنافقِ الذي لا يقرأ القرآنَ كمثلِ الحنْظلَةِ. ليس لها ريحٌ وطعمُها مُرٌّ". متفق عليه.

٣. الحفظ:

ندب الله للحفظ بقوله سبحانه: ﴿بَل هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ في صُدورِ الَّذينَ أوتُوا العِلمَ وَما يَجحَدُ بِآياتِنا إِلّا الظّالِمونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وتأمل "في صُدورِ الَّذينَ أوتُوا العِلمَ" وكأن طالب العلم الذي لا يحفظ القرآن قد خالف أصلا معتبراً، وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقالُ لصاحبِ القرآنِ: اقرأْ وارقَ ورتِّلْ كما كنتَ ترتلُ في الدنيا، فإنَّ منزلتَك عندَ آخرِ آيةٍ تقرأُ بها" رواه الترمذي، وصاحب القرآن يُلبس والديه تاج الوقار، وقد حمل النبوّة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه، وهو مقدم على الناس في الحياة وفي الممات، ففي المحراب يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وفي الممات إن كانوا اثنين أو جماعة فأقربهم للإمام وفي القبر أسبقهم نزولاً أحفظهم. فما أطيب حافظ القرآن حياً وميتاً.

٤. القيام به في الصلاة ليلاً:

ما أعظم الليل وأهله إن هم سروا بالقرآن فلم يهجعوا إلا قليلاً وباتوا سجداً ركعاً، وتأمل قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيلِ فَتَهَجَّد بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقامًا مَحمودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقال الله: ﴿يا أَيُّهَا المُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيلَ إِلّا قَليلًا﴾ [المزمل: ١-٢]، وفي آخر السورة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعلَمُ أَنَّكَ تَقومُ أَدنى مِن ثُلُثَيِ اللَّيلِ وَنِصفَهُ وَثُلُثَهُ وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيلَ وَالنَّهارَ عَلِمَ أَن لَن تُحصوهُ فَتابَ عَلَيكُم فَاقرَءوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرآنِ عَلِمَ أَن سَيَكونُ مِنكُم مَرضى وَآخَرونَ يَضرِبونَ فِي الأَرضِ يَبتَغونَ مِن فَضلِ اللَّهِ وَآخَرونَ يُقاتِلونَ في سَبيلِ اللَّهِ فَاقرَءوا ما

تَيَسَّرَ مِنهُ وَأَقيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَقرِضُوا اللَّهَ قَرضًا حَسَنًا وَما تُقَدِّموا لِأَنفُسِكُم مِن خَيرٍ تَجِدوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيرًا وَأَعظَمَ أَجرًا وَاستَغفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفورٌ رَحيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]، والعجيب لم يكن هناك أيّ إشارة إلى ترك هذا الأمر مهما كان حال العبد مسافراً مريضاً مجاهداً، فعلى أقل الأحوال "فَاقرَءوا ما تَيَسَّرَ مِنه"، وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الصِّيامُ والقرآنُ يشفَعانِ للعبدِ يومَ القيامةِ يقولُ الصِّيامُ أي ربِّ منعتُهُ الطَّعامَ والشَّهواتِ بالنَّهارِ فشفِّعني فيهِ ويقولُ القرآنُ منعتُهُ النَّومَ باللَّيلِ فشفِّعني فيهِ قالَ فَيشفَّعانِ" رواه أحمد وصححه أحمد شاكر.

٥. سماعه:

ومن تأمل الصدر الأول والوحيين يتضح له عظم هذه الوسيلة، فقد قال الله: ﴿وَإِذا قُرِئَ القُرآنُ فَاستَمِعوا لَهُ وَأَنصِتوا لَعَلَّكُم تُرحَمونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]،أي حتى تتم الإفادة منه وحصول الأثر المرجو يتوجب على المؤمن سماعه باستماع مرجوٌ به الترقي والانتفاع، بل بإنصات وهو أجلّ مراحل السماع وتأمل قول الله: ﴿أَوَلَم يَكفِهِم أَنّا أَنزَلنا عَلَيكَ الكِتابَ يُتلى عَلَيهِم إِنَّ في ذلِكَ لَرَحمَةً وَذِكرى لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، فقال "يُتلى عليهم" للندب لذلك الأمر لما فيه من الانتفاع، وتأمل كيف كان تأثير السماع للقرآن في المشركين ومن أسلم منهم، وحتى يومنا هذا. بل قد كان رسول الله يحب ذلك، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "اقرَأْ عليَّ القرآنَ . قلتُ : آقرَأُ عليكَ وعليكَ أُنزِلَ ؟ قال : إني أُحِبُّ أن أسمَعَه مِن غيري" رواه البخاري.

قال تعالى: ﴿وَقُرآنًا فَرَقناهُ لِتَقرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلى مُكثٍ وَنَزَّلناهُ تَنزيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

٦. تعلمه وتعليمه:

خيرية العبد أن يلازم القرآن تَعَلُماً وتعليماً، وفي الحديث الصحيح: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه". وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من علم آية من كتاب الله عز وجل كان له ثوابها ما تليت " أخرجه أبو سهل القطان في "حديثه عن شيوخه".

فكيف بمن نذر نفسه لذلك ماحيي، وكذلك من وقف ودعم كل معلم للقرآن، فمن خير الانتفاع من القرآن هو تعليمه ولاشك أن هذا بعد التعلم، وهو نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿لَقَد مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤمِنينَ إِذ بَعَثَ فيهِم رَسولًا مِن أَنفُسِهِم يَتلو عَلَيهِم آياتِهِ وَيُزَكّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكمَةَ وَإِن كانوا مِن قَبلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

٧. العيش معه وبه في كل حال ومكان وزمان:

قال الله: ﴿الَّذينَ يَذكُرونَ اللَّهَ قِيامًا وَقُعودًا وَعَلى جُنوبِهِم وَيَتَفَكَّرونَ في خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ رَبَّنا ما خَلَقتَ هذا باطِلًا سُبحانَكَ فَقِنا عَذابَ النّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، تأمل واقعهم وهم يذكرون الله (وأعظم الذكر هو القرآن) في كل أحوالهم، لتعلم أن القرآن ليس إلا كالنفس في حياة أهل الإيمان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تجعلوا بُيُوتَكم مقابرَ فإنَّ الشيطانَ يفرُّ من البيتِ أنْ يسمعَ سورةَ البقرةِ تُقْرأُ فيه" مسند أحمد، فتأمل!

❖ تأملات في آيات:

التأمل الأول:

﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾ [هود: ٢٧].

﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ [الشعراء: ١١١].

﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ [المؤمنون: ٢٤].

لما نعلم أن نتانة الطبقية وعنفوان العصبية بدأت بالبشرية منذ أزليتها نوقن أنّا أمام صنم معبود يتجدد مع الجهل والرضوخ للدنيا، ويزول ويُقمع مع العلم والدعوة، ولذا فإذا ما رأينا (الطبقية والعصبية) تتفشى في مجتمع معيّن فلنعلم أن الجاهلية قد ضربت بأطنابها عندهم.

والآيات توحي بتفشيها إبان دعوة نوح عليه السلام فكيف بمن طغمتهم المدنية واستشرت فيهم المادية، فكانت الاعتبارات دنيوية صِرفة!

التأمل الثاني:

﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾[هود: ٥٢].

﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾ [هود: ٦١].

﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾ [نوح: ١٠].

الأنبياء واظبوا على دعاء أقوامهم للاستغفار، وقد ذكر في القرآن في أكثر من ستة وعشرين موضعاً؛ إذ هو خير بلسم للنفوس المنهكة، وخير سلسبيل للنفوس المطمئنة.

وكان رسول الله قدوة في ذلك، وخير أسوة لهذا العمل العظيم، عن الأغر المزني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة"، هذا لفظ أبي داود ولفظ الإمام أحمد ومسلم "إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم مائة مرة" قال: وسمعته يقول: "توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى ربي – تبارك وتعالى – مائة مرة في اليوم". وفي الحديث "طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً".

التأمل الثالث (ردود قوم هود عليه السلام عليه):

﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ [الشعراء: ١٣٦].

﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين﴾ [هود: ٥٣].

﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ [الأعراف: ٦٦].

﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ [الأعراف: ٧٠].

هذه الآيات تُخبر عن نبيٍ واحد، وكيف كان مع قومه، ويكفي نصف واحد منها ليفلّ عزيمة مجموعة من المصلحين! فادعاء السفاهة، أو إعلان الصد والتكذيب، أو التمسك بالجاهلية والذب عنها، كل ذلك لم يجعله يتوقف، أو حتى يخسر مبدأه معهم وينتصر لذاته، بل صبرٌ واحتساب وابتغاء ما عند الله، وفي هذا خبر وإرشاد، فالخبر بما كان عليه القوم، وفيه رد على مزاعم من قال بتكرار القرآن لغير معنى، وفيه إرشاد للصبر والاحتساب، وعدم الوقوف والانتقام للذات في سبيل الدعوة. وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها: "ما انتقم رسول الله لنفسه قط حتى تنتهك محارم الله فينتقم لله".

التأمل الرابع:

﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ [هود: ٤٢].

﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾ [مريم: ٤٦].

﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ [التحريم: ١٠].

لا نحاكم الداعية في نجاحه وفشله إلى صلاح أولاده وزوجه هو عائلهم، فضلاً عن والديه، وهم من عالوه.

وهؤلاء الرسل الكرام، قد فسد بعض آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، لكنه لم ينقصهم قدرهم (أي الرسل)، وفي المقابل لم تفتؤ عزيمتهم حتى آخر رمق.

التأمل الخامس:

﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ [البقرة: ١٢٦].

﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ [إبراهيم: ٣٥].

يدعو الخليل عليه السلام بدعوتين اشتركتا في مطلوب واحد وهو الأمن، وانفردت كل منهما في مطلوبين، فالأولى دعا بأمن البلد والرزق ثانياً، ودعا في الثانية بالأمن وحفظ بنيه من الشرك، والمتأمل يوقن بأن الدين

مطلب والرزق مطلب، لكن لا ينعم بها العبد حتى يأمن على نفسه وأهله وماله، فيعبد الله مطمئناً آمناً على ماله وعياله.

الأمن منة الله على عباده، وما امتن الله شيئاً إلا لعزته وعظمته ﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ [قريش: ٤].

التأمل السادس (خصال قوم لوط عليه السلام):

١. ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ [الأعراف: ٨١].
- الإسراف حد الطغيان، ولو اقتصدوا في المباح لكفاهم ما وراءه.
٢. ﴿وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد﴾ [هود: ٧٨].
- عمل السيئات قولاً وفعلاً، وعدم الاتعاظ بالنصح، وانعدام المروءة والرُشد.
٣. ﴿قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾ [الحجر: ٦٨].
- انعدام المروءة.
٤. ﴿واتقوا الله ولا تخزون﴾ [الحجر: ٦٩].
- اعتياد الخزي والتنكيل بغيرهم.
٥. ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [الحجر: ٧٢].
- طغيان الهوى حتى عطل عقولهم، كالخمرة تعطل العقل.
٦. ﴿ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ [الأنبياء: ٧٤].
- عمل الخبائث والرجس من الأعمال، وخُلة الفسق والمجون والخلاعة فيهم.
٧. ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون﴾ [الشعراء: ١٦٦].
- الاعتداء فوق حدود الشريعة مما اقتضى عدم تورعهم في شتى الأحكام والحدود الشرعية والأعراف الفطرية.

٨. ﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون(٥٤)أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون(٥٥)﴾ [النمل].

- الجهل بعواقب الأمور والأفعال، وعدم إدراك ذلك بالنظر والتبصر ودراسة المآلات.

٩. ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ [النمل: ٥٦].

- رؤية الحق منكراً، واعتبار الفضيلة شذوذاً.

١٠. ﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ [الأعراف: ٨٠]، ﴿ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ [العنكبوت: ٢٨].

- كسر الفطرة واستباق نكس الحق وتطبيع الضلال.

١١. ﴿أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ [العنكبوت: ٢٩].

- الشذوذ والاعتداء على الخلق، والاجتماع على المنكرات والباطل، وأيضاً الأمن من مكر الله.

١٢. ﴿قال رب انصرني على القوم المفسدين﴾ [العنكبوت: ٣٠].

- الإفساد وتصديره للغير.

١٣. ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين﴾ [العنكبوت: ٣١].

- الظلم الواقع على حياتهم جراء منكرهم، فظلموا أزواجهم وحرموهم حق الفراش، وظلموا ذراريهم بأن أورثوا لهم هذا الفحش، وظلموا أيضاً أنفسهم بالذنوب والكبائر.

١٤. ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ [العنكبوت: ٣٤].

- الفسق

١٥. ﴿كذبت قوم لوط بالنذر﴾ [القمر: ٣٣].

- التكذيب.

١٦. ﴿ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر﴾ [القمر: ٣٧].

- المسخ من البشرية والمروءات الفاضلة.

١٧. ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ [التحريم: ١٠].

- فساد نساء مجتمعهم حتى كانت زوج نبيهم ضالة بضلالة قومها رغم أن الأمر لا يعنيها، وذكر من خيانتها أنها كانت تخبر بأضياف لوط عليه السلام فتغري سفهاء قومها، وأما خيانة الفراش فلم يك ذلك لنبي البتة.

واقع الشذوذ في قوم لوط ألبسهم أشنع الخلال وأقبحها وأفسقها وأرذلها، فطُمست عقولهم وغلبتهم أهواؤهم فلم يعرفوا معروفاً ولم ينكروا منكراً إلا ما أُشربوا من أهوائهم، وهكذا كل مجتمع تنتشر فيه الرذيلة، ويعم عليهم مصادمة الفطرة بالشذوذ والنفور من سجية الخلق، يكونوا كالبهائم بل أضل سبيلاً!

التأمل السابع:

﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [يوسف: ٢١].

﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين﴾ [يوسف: ٥٦].

ذُكرت "وكذلك مكنا ليوسف في الأرض" مرتين فالأولى بعد أن ألقوه أخوته في غيابت الجُب وكان التعقيب أن يورث العلم مناسبة لذلك المُقام، والآية الثانية أتت بعد أن بدا لذوي امرأة العزيز أن يسجنوه وكان التعقيب أن يُمكن من الأرض.

ولو يعلم الأعداء وساسة الضلال ماكان لأولياء الله عقب ابتلائهم ماضروهم ولا أوجدوا لهم التحديات التي تصنعهم عظماء، وصدق الله "والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون".

التأمل الثامن:

﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾[يوسف: ١٠١].

﴿رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين﴾ [الشعراء: ٨٣].

الغاية التي يبحث عنها العاملون الصادقون هي ماسطرها يوسف عليه السلام بعد أن بلغ مابلغ في الدنيا وهي كذلك مسألة أبي الأنبياء وشيخ الحنفاء وجدّ يوسف إبراهيم الخليل عليه السلام، "ألحقني بالصالحين".

التأمل التاسع:

﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾ [يوسف: ٢٣].

﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾ [مريم: ١٨].

من التحف بلحاف العفة واعتنق رقابة الله لم تسول له نفسه بالمعصية فضلاً عن خطواتها، فيوسف ارتج المكان بندائه العظيم "معاذ الله" فنفسه لم تتطبع على المعصية وحاشاه عليه السلام، وهذه مريم عليها السلام نموذج النساء، لما جاءها جبريل صاحت بصوت العفة والنبل "إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا" فلم تكن نفسها قد خضعت لحبائل الشيطان، فلذلك كانت المواقف واضحة وسريعة وثابتة.

التأمل العاشر:

﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾ [يوسف: ٣٢].

﴿قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين(٥١)ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين(٥٢)﴾ [يوسف].

تحدثت امرأة العزيز بذات العبارة في موضعين، فالأولى قالت "ولقد راودته عن نفسه" فنبعت من عواطفها ورغبتها وقالتها متوعدةً إياه بالعقوبة الحسية والمعنوية (السجن والصَّغَار)، بيد أن الموضع الثاني قالت "أنا راودته عن نفسه" وكانت في معرض الاعتراف والإقرار بالحقيقة، فسبحان من كانت له عاقبة الأمور ومن ينصر عباده الصابرين المتقين ولو بعد حين، والعجيب للمتأمل أن يوسف عليه السلام كان شاهداً حين

اتهمته بدايةً وادّعت عليه، وأما في النهاية فكان غائباً ومع ذلك برأته "ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين".

التأمل الحادي عشر:

﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ [يونس: ٩٠].

﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧].

فرعون ويونس عليه السلام كلاهما غرق، وكلاهما نادا بالتوحيد؛ لكن اختلفت الإجابة، فالأول إجابته ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ [يونس: ٩١]، والثاني ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ [الأنبياء: ٨٨].

كل ما كنت بالله أعرف ومنه أقرب كان لك أوصل وبك ألطف، والعبرة بالسوابق المشرفة، وفي الحديث القدسي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: إن الله قال: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه"رواه البخاري.

التأمل الثاني عشر:

﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦].

﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ [غافر: ٢٨].

على رغم قوة الأقباط وهيمنة فرعون وملأه إلا أن صدق هذا الرجل (مؤمن آل فرعون) ونصحه وإخلاصه لم تمنعه أن يصدق بالنصح لقومه، ولم يخف لومة لائم في الدفاع عن رسول الله موسى والذب عنه وعن دعوته، وكادت أن تكون سورة غافر فيه.

وفي المقابل فرغم حاجة بني إسرائيل للنصرة والقوة والمنعة إلا أن صاحبهم قارون قد بغى وطغى، بل وشارك فرعون في طمس هويتهم واستذلالهم والاستخفاف بهم.

وهذان المشهدان المتباينان يؤكدان أن معادن النفوس الأصيلة لا تختلف مع تبدل اختلاف الحال والزمان، وأن أصدق الناس للناس هم الدعاة إلى الله.

التأمل الثالث عشر:

﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ [الأعراف: ١٣٨].

﴿فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾ [طه: ٧٠].

يبرز هنا مجتمعان!

المجتمع الأول أرسل الله لهم رسوله لينقذهم من الذل والعبودية لغيره، وكانت أمامهم الآيات المبهرة؛ بل لم تجف أقدامهم من البحر رغم نجاتهم والمشهد المهول، حتى خذلوا نبيهم!

والمجتمع الثاني كانوا أهل شأن في قومهم وعند زعيمهم، وقد اجتمعوا للتنكيل برسول الله وتخذيل دعوته، ولم يشاهدوا سوى معجزة واحدة فآمنوا بالله ونصروا رسوله وخذلوا زعيمهم مدعي الألوهية، فسبحان من بيده قلوب عباده.

التأمل الرابع عشر:

﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين﴾ [الزخرف: ٥٤].

صلاح النفس وهداية المجتمع السبيل الوحيد للتغلب على الاستخفاف وفك قيود الانقياد وربقة الاستبداد، لأن الفسق وترك الاستقامة أولى دركات الانحطاط وتسلّط الظالمين.

التأمل الخامس عشر:

﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ۝ قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ [يوسف: ٤-٥].

عاطفة يعقوب عليه السلام تجاه يوسف عليه السلام مشوبة بعلمه بنبوة يوسف عليه السلام ورفعته بعد حين، ومع ذلك حصل ما يكره وما يخشاه من أبنائه! فأجمعوا أمرهم وكادوا بيوسف، ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾[يوسف: ٩]، لقد دفع يعقوب ثمن هذا الحب لوعة ألم وسُقْم جسد ومرارة فراق علاوة على البغضاء والغل والحقد والحسد بين بنيه، فكيف بمن كانت عاطفته تجاه أحد أبنائه دون اعتبار شرعي؟! وفي حديث النعمان بن بشير مرفوعا: "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم".

التأمل السادس عشر:

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾ [الأعراف: ٢٦].

مع ظاهرة التخفف من اللباس عند البعض حتى صار العُرف عندهم تأخذنا هذه الآية للأصل عند بني البشر قال سبحانه: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ [الأعراف: ٢٧]، فاللباس على آدم وزوجه مُذ خلقا ومُذ كانا في الجنة، وعند أبي داود والترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي والطبراني في الكبير عن بَهْز بْنِ حَكِيمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ ؟ ، قَالَ : "اسْتُرْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ". زَادَ الْحَجَبِيُّ فِي حَدِيثِهِ : قُلْتُ : الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ؟ ، قَالَ : "إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَيَنَّهَا" ، قُلْتُ : فَإِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا ؟ ، قَالَ : "فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَى مِنْهُ".

وبعض مسلمي شرق آسيا يمنعون دخول المساجد بالملابس القصيرة ولو كانت ساترة للعورة ولهم في ذلك أصل قال سبحانه: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ [الأعراف: ٣١]، وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا يُصَلِّي أَحَدُكُمْ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ لَيْسَ عَلَى عَاتِقَيْهِ شَيْءٌ).

فالشريعة تتشوف للستر، والكمال في ذلك مندبة، وليس ما نراه الآن في اللُبس المكشوف أو الضيق وما في معناها.

التأمل السابع عشر:

﴿واجعل لي وزيرا من أهلي ۝ هارون أخي﴾ [طه: ٢٩-٣٠].

﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ [المائدة: ٢٥].

ابتدأ موسى عليه السلام دعوته بأخيه هارون عليه السلام، واستمر في مسيرته الطويلة يدعو ويقارع ويدافع وبعد ذلك لم يحظ إلا بهارون وهو ماقاله ختام دعوته: "رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي"، ومع ذلك فهو كليم الله ورسوله ومن أولي العزم. فالأعداد ليست مؤشراً في نجاح الداعية، بل بصدقه وفاعليته ومدافعته.

ملحوظة:

القصد سلطانه على أخيه فقط كما في الآية، وإلا أتباعه كثر كمؤمن آل فرعون وسحرة فرعون والرجلين الذين وعظا قومهما بالدخول للأرض المقدسة وغيرهم، وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يوما قال: "عرضت علي الأمم، ورأيت سوادا كثيرا سد الأفق فقيل هذا موسى في قومه". صحيح البخاري

التأمل الثامن عشر:

﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ۝ إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥].

﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا﴾ [الأحزاب: ٣٠].

وعن الإماء يقول الحق ﴿فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ [النساء: ٢٥].

على قدر ما يعطي الله العبد من نعم سواء في دينه ودنياه من علم ومال وسعة على قدر ما يؤاخذه الله في عدم شكرها والحفاظ عليها، فالنبي صلى الله عليه وسلم يضاعف له العذاب لو ركن للظالمين وحاشاه عليه الصلاة والسلام وهو إمام المؤمنين المتوكلين، وأزواجه يضاعف لهن العذاب لو أتين بفاحشة وحاشاهن رضي الله عنهن وهن سيدات نساء الجنة وقدوات الطهر والعفاف، قال القرطبي في معرض حديثه عن آية الأحزاب: إن العقوبة تجب على قدر النعمة. وأنعم النظر في آية النساء وكيف كانت عقوبة الأمَة وهي نصف عقوبة الحُرة، فسبحان العدل البر الحكيم الرحيم. وهكذا في كل من وهبه الله نعمة لا سيما نعمة العلم والدين أن يرعاها، وقد عرف ما عرف من آيات الله والحكمة فحري به أن يكون أحفظ لحدود الله وأقوم لصيانتها والذود عن حياضها.

التأمل التاسع عشر:

﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ [الجاثية: ٢٣].

لخطورة الهوى وتماهيه في دواخل النفس وسريانه مع رغباتها قد تزلّ به حتى قدم العالم "وأضله الله على علم"، فكيف بمن دونه؟!

اللهم سلِّم سلِّم

التأمل العشرون:

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾ [التوبة: ٢٥].

بين الإعداد الواجب والإعجاب المحرم شعرة، فلا يكن إعداد المؤمن إعجاباً بنفسه حتى لا يوكل لنفسه، ولا يكن توكله تواكلاً فيأكله العدو.

وتأمل في حال الصحب يوم بدر، "ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة"، وكيف كان وصفهم "وأنتم أذلة"، وفي الواقع لا خيول مسرجة ولا أعداد مبهجة، لكنهم قد اعتدوا بنصر الله، بخلاف الحال في حنين لما اعتدوا بعددهم فوكلوا إليه.

التأمل الحادي والعشرون:

﴿إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى﴾ [طه: ١٠].

الرجل الصالح قائم على شؤون أهله، والمرأة الصالحة لا تتشوف الخروج فتكون خرّاجة ولّاجة.

التأمل الثاني والعشرون:

﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا﴾ [الكهف: ١٤].

﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾ [القصص: ١٠].

لا يعينك في الثبات على الطريق ومقابلة المصائب إلا الله، والتعبير بالربط على القلب دلالة بلاغية على الإحكام والجودة، وصيغة الجمع (ربطنا) دلالة على تعظيم المُثبت والمُعين وهو الله سبحانه، فلا نرجو معيناً غيره، ولا مثبتاً سواه، ولا مسلياً دونه تبارك وتعالى.

التأمل الثالث والعشرون:

﴿ذكر رحمت ربك عبده زكريا ۝ إذ نادى ربه نداء خفيا﴾ [مريم: ٢-٣].

﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ۝ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين﴾ [آل عمران: ٣٨-٣٩].

﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين ۝ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

سر الاستجابة السريعة هو أن يكون العبد لله كما يحب وفيما يحب وسيكون الله له كما يرجو، فقد نادى زكريا ربه نداءً خفياً، إشارة للإخلاص، ثم أظهر الله جل وعلا سر الاستجابة في مسارعته للخيرات؛ بل الإجابة أتته وهو على الحال المرضي عنها "وهو قائم يصلي في المحراب"، فالمعية الدائمة والاستجابة العاجلة سرها في عقد الولاية مع الله وذلك بفعل مراضي الله والبعد عما يغضبه.

التأمل الرابع والعشرون:

﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾ [مريم: ٤٨].

﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾ [الكهف: ١٦].

لم تكن العزلة عن المُفسدين الذين يضرون ديانة العبد شؤماً قط!

التأمل الخامس والعشرون:

﴿وَإِنِ امرَأَةٌ خافَت مِن بَعلِها نُشوزًا أَو إِعراضًا فَلا جُناحَ عَلَيهِما أَن يُصلِحا بَينَهُما صُلحًا وَالصُّلحُ خَيرٌ وَأُحضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحسِنوا وَتَتَّقوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعمَلونَ خَبيرًا ۝ وَلَن تَستَطيعوا أَن تَعدِلوا بَينَ النِّساءِ وَلَو حَرَصتُم فَلا تَميلوا كُلَّ المَيلِ فَتَذَروها كَالمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصلِحوا وَتَتَّقوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ غَفورًا رَحيمًا ۝ وَإِن يَتَفَرَّقا يُغنِ اللَّهُ كُلًّا مِن سَعَتِهِ وَكانَ اللَّهُ واسِعًا حَكيمًا﴾ [النساء: ١٢٨-١٣٠].

في الآية الأولى ندب إلى الإحسان وأيضاً التقوى، فندب للإحسان الذي فيه الإكرام والعفو والمعروف وصية بالمرأة الضعيفة التي تنازلت عن بعض حقوقها لما رأت انصراف زوجها أو خافت ذلك؛ وذلك لضمان قرارها في بيت الزوجية، ثم قال الله " فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعمَلونَ خَبيرًا"، وذلك إخبار وإرشاد، فيخبر الله بعلمه، ويرشد لمراقبته والخوف منه في تلكن العواني الأسيرات.

وفي الآية الثانية إشارة إلى أن البعض قد يتسلل لنفسه الطلاق لبعض الأوهام كزيادة المسؤولية والنفقة أو غير ذلك، فربما يطلق الأخرى لهذا، فالله يؤكد أن العدل محال، ولكن لا يجعلها كالمعلقة.

ثم ندب للإصلاح والمقاربة والتسديد وأيضا التقوى، وقال عن نفسه " فَإِنَّ اللَّهَ كانَ غَفورًا رَحيمًا"، إذ البقاء على الزواج وعدم القدوم على الطلاق أفضل فقال "غَفورًا رَحيمًا" إشارة للعفو عما لا يستطيع الإنسان أن يعدل فيه، وهي تكمن خاصة في المشاعر والوجدان.

وفي الآيتين اختلفت الوصايا فيها بالإحسان في الأولى والإصلاح في الثانية كم مر، واتفقت في التقوى لأهميتها لأنها عمود صلاح الأسرة، فلا يستطيع كائن من كان أن يكون شاهداً حسيباً في الأسرة فكانت الوصية بالتقوى. وتأمل سورة الطلاق وكيف تناظمت الدعوة للتقوى في سياقات مختلفة لذات الأمر.

وفي الآية الثالثة إشارة إلى أن الطريق إذا أغلق على الطرفين فلا الزوجة استطاعت أن تثني زوجها عن الطلاق، ولا الزوج استطاع ابقائها في حياتها زوجة لها حقها، وربما العكس الزوج يسعى في إقناعها ورضاها، وهي منصرفة عنه فإن الفراق هنا بوابة لحياة أجمل وأسعد والله كفيل بإرضائهما " يُغنِ اللَّهُ كُلًّا مِن سَعَتِهِ" ولذا كانت هذه الآية خير عزاء لمن كانت ختام العشرة بالطلاق لا سيما " وَكانَ اللَّهُ واسِعًا حَكيمًا" فتتسع الضائقة، وتفرج الكربة، ويسعد المحزون، ويُيسر العسير.

التأمل السادس والعشرون:

﴿وَالمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُروءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكتُمنَ ما خَلَقَ اللَّهُ في أَرحامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤمِنَّ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَبُعولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ في ذٰلِكَ إِن أَرادوا إِصلاحًا وَلَهُنَّ مِثلُ الَّذي عَلَيهِنَّ بِالمَعروفِ وَلِلرِّجالِ عَلَيهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزيزٌ حَكيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

﴿فَإِن طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعدُ حَتّى تَنكِحَ زَوجًا غَيرَهُ فَإِن طَلَّقَها فَلا جُناحَ عَلَيهِما أَن يَتَراجَعا إِن ظَنّا أَن يُقيما حُدودَ اللَّهِ وَتِلكَ حُدودُ اللَّهِ يُبَيِّنُها لِقَومٍ يَعلَمونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

﴿وَإِذا طَلَّقتُمُ النِّساءَ فَبَلَغنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعضُلوهُنَّ أَن يَنكِحنَ أَزواجَهُنَّ إِذا تَراضَوا بَينَهُم بِالمَعروفِ ذلِكَ يوعَظُ بِهِ مَن كانَ مِنكُم يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ ذلِكُم أَزكى لَكُم وَأَطهَرُ وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

الندب إلى أحقية رجوع المرأة لطليقها وزوجها الأول أمر أقرت به الشريعة ودعت إليه، بل يقول الله " ذلِكُم أَزكى لَكُم وَأَطهَرُ وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمونَ".

فثمة قضايا نعلمها ولا نعلمها في السّر خلف هذا الأمر وما هو الخير الذي قد يكون في عودتهما بعد أن افترقا وربما كان الفراق بخصومة؛ بل ربما عقب زواج لأحد الطرفين أو كلاهما!

عادة ما يبنى الطلاق على سبب أو عدة أسباب فلعل الزمن قد كفل بتعديل التصور الصحيح في النظرة ولذا كانت العدة في طلاق الرجعة، فقد رأت خراب البيت وجربت لوعة الفراق، وقد يكون هو أمضه بعدها واحتاج إليها، ولم يعفه سواها، فكانوا أحق ببعض.

وأما إن تزوجت غيره ثم طلقها فلا يمنع أيضاً عودتهما رغم مرورها بعدتين وربما أيضاً كان الفراق الأول شديد على النفس، لكن بعد أن جربت غيره وأيقنت بفرقه على غيره في العطاء وسماحة النفس والفراش وغيره لم تعدل عنه بسواه، وربما هو كذلك وهذا مشاهد. إذ ليس من الإنصاف الحكم بالفراق مدى الحياة "وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمونَ".

❖ تدبرات :

- ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، الشك والمرض في القلب لا يبقى على حجمه بل يزيد يوما على يوم، فليحذر ذلك.

- ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، لله في كل شأن علم وتدبير نرقب فضله ونصبر لرزقه ولا نسأله عما يفعل.

- ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١]، فضل آدم بالعلم، وهكذا فضل من علم!

- ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١]، أعظم المقت من اشترى الدنيا بالدين.

- ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:٩٦]، من حرص على الحياة وتشبث بها تشبه باليهود!

- ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢] ليس كل علم نافعا .

- ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠]، ولا يزال بعض المسلمين يتطلع لكلمات الرضى من اليهود والنصارى ليوظفها في التطبيع والتعايش.

- ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧]، مهما بذلت وقدمت واجتهدت فالعبرة بقبول العمل وليس بكثرته

- ﴿وَوَصّى بِها إِبراهيمُ بَنيهِ وَيَعقوبُ يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصطَفى لَكُمُ الدّينَ فَلا تَموتُنَّ إِلّا وَأَنتُم مُسلِمونَ۝ أَم كُنتُم شُهَداءَ إِذ حَضَرَ يَعقوبَ المَوتُ إِذ قالَ لِبَنيهِ ما تَعبُدونَ مِن بَعدي قالوا نَعبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبائِكَ إِبراهيمَ وَإِسماعيلَ وَإِسحاقَ إِلٰهًا واحِدًا وَنَحنُ لَهُ مُسلِمونَ﴾ [البقرة: ١٣٢-١٣٣]، مشروعية الوصية عند الموت في أمر الاهتداء، والاستقامة وأخذ العهد والميثاق على ذلك.

- ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:١٤٨]. لا غرو في اختلاف العمل ولكن السبق السبق.

- ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١]، مفردات التربية النبوية (تلاوة القرآن، تزكية النفوس، تعليم القرآن والسنة).

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣]، قُدم الصبر على الصلاة لأن الصبر أساس البقاء على العبادات.

- ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠]، توبة من كتم العلم وبدل الحق ليست غيره فالبيان شرط ثابت في صحة توبته وقبولها.

- ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤]. آيات الله الدالة على قدرته تتعدى إلى ما أنتجه خلقه بهدايته وتوفيقه فالمصانع والآلات وعظيم البنايات آيات لعظمة الخالق وهدايته.

- ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٧٣]، حصر المحرمات برهان على سعة المباحات الكثيرة ومحدودية المحرمات.

- ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، هذا وعد الله، ومن أصدق من الله قيلا؟!

- ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ ﴾ [البقرة:١٨٧]، الزواج الذي لا يعف به أحد الطرفين ليس زواجاً.

- ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة:١٩٣]، لم يشرع الجهاد لتثبيت حكم أحد أو رفع شعارات قومية أو أحزاب فكرية بل هو لإعلاء كلمة الله وإزالة الفتنة التي تحول دون تطبيق الإسلام وشرائعه لمعتنقيه.

- ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، رغم إتلاف المال وإزهاق النفس فإن الهلكة في عدم بذلها في سبيل الله.

- ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة:٢١١]، كم من مستقيم قد تلمظ الخير وتنفس الإيمان ثم بدل هذه النعمة فسقا وعدوانا.. رحماك!

- ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ ﴾ [البقرة:٢١٧]، مادام الكفر قائماً والإسلام قائماً فلن تهدأ بيادق الكفر عن ضرب معالم الإسلام، فإذا ما كان يوما بلا مدافعة فلا كفر قائم أو إسلام قائم.

- ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ ﴾ [البقرة:٢٣٣]، مشروعية استمرار المشورة والتراضي حتى بعد الطلاق فكيف بحال الزواج فهو أولى .

- ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٧]، من المروءة عدم نسيان الفضل بين الطليقين، فكيف بالزوجين؟!

- ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٤٧]، سعة العلم وقوة الجسم أبرز مؤشرات اختيار القيادة ولكل منها اعتباره وفاعليته.

- ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ [البقرة:٢٤٩] هذه ثمرة الأتقياء في صف العمل الإسلامي، ثبات وتثبيت ويقين وعزة وإصرار ومقاومة.

- ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٥٠]، الصبر أساس الثبات والنصر، ولولاه لَكَلَّ الناس وجزعوا.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة:٢٦٧]، تنبه لكل معروف تقدمه! واسأل نفسك لو قدم لك من غيرك عطاءً ليس بطيب وأنت في حاجته ربما تأخذه ولكن على مضض لرداءته (مؤشر رباني حكيم).

- ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:٢٦٩]، اسأل الله الحكمة فهي من لدنه فقط! عجيب لمن أوتي الحكمة ونسبها لنفسه بحثاً وجهداً.

- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٧٣]، أولى الفقراء وأعظمهم من شغله العمل لله ولو على حساب نفسه، وهو مع ذلك متعفف كريم النفس.

- ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٩]، تولى الله حرب المرابين المكابرين ومن تولى الله حربه لم تقم له قائمه، ومن تولى الله حربه فهو لسعة جرمه وطغيانه.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ﴾ [البقرة:٢٨٢]، أولى الله المدين مهمة الكتابة ليقر على نفسه أولا فيحفظ حق الدائن، ولأنه في محل ضعف وحاجة فلا يكن القلم بيد غيره فيستغل حاجته فيبغي ويتعدّ على حق المدين فسبحان الله الحكيم العليم.

- ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦]، التعامل مع البشر على أنهم آلات لها معايير محدودة وطاقات متماثلة أمرٌ مخالف للفطرة ومصادم للوحي، فكل نفس لها قدرتها الخاصة ومشاعرها وكذلك حدها من العلم، وهذا كله محل اعتبار عند الحكيم الخالق فكيف للبشر بعضهم لبعض؟!

- ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦]، إذا أرعبك ملوك الدنيا وأرهبك سلطان الأرض فتذكر أن الذي ولاه في السماء.

- ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران : ٣٠]، الحصيف من جعل بينه وبين الإثم مسافة في الدنيا ليكن على مسافة من عقوبته في الآخرة، فالأماني في الآخرة رهن عمل الدنيا.

- ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦] يدرك كل العقلاء من البشر أن عمل المرأة ليس كالرجل ولكل طاقته الموهوبة وعمله المراد.

- ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران:٣٩]، الوصول للمحراب صعب والوصول منه سهل.

- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤]، لا تسوية مع الكفار وأهل الكتاب إلا بالتوحيد.

- ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٩٢]، المؤمن ينفق أحب ما لديه من المال وأحسن الأفكار وأفضل الأوقات في سبيل الله، وذلك مظنة نيل البر، والحب عمل قلبي، لا يكاد يطلع عليه فرد من البشر؛ وحسب صدق العبد مع ربه يختار أنفس ما تحب نفسه ليقدمها رخيصة لربه.

"فإن الله به عليم": علم بكل شيء، بإخلاصك، وصدقك، وبقدر ذلك الإنفاق ومدى الحب الذي كان له في قلبك.

- ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣]، أول أسباب اجتماع الأمة التمسك بالكتاب والسنة.

- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٧]، قال: ففي رحمة الله، ولم يقل ففي الجنة؛ والجنة جزء من رحمة الله العظيمة، فما أعظم الوصف.

- ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]. أولياء الله لا تختلف مبادئهم عند العطاء مهما تبدلت أحوالهم بين السراء والضراء.

- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢]، الجهاد في سبيل الله والعمل لدين الله والصبر في ذلك من أوثق طرق الجنة ومن لم يعايش أحدها فليراجع نفسه.

- ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:١٥٣]، لا يكون الثواب فرحاً دائماً، فربما كان الضيق والعسر ثواباً فينسيك هماً أكبر وضيقاً أعسر، أو يريك به فرجاً ويسراً.

- ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران :١٥٤]، آجال العباد لا يعجلها إقدام وشجاعة ولا يؤخرها جبن وحرص.

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران :١٥٥]، الذنوب أعظم ما يحطم الانتصارات ويجلب الهزائم.

وتأمل ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٦٥].

- ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠]، المهم أن يأذن الله بالنصر وحينها فلتقر العيون طمأنينة.

- ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران:١٦٧]، من أبرز سمات المنافقين مخالفة أقوالهم ما تكن صدورهم.. فرصة للمراجعة!

- ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]، كلما زاد الإيمان كان الاطمئنان، والعكس فيحصل الخوف من أدنى مكائد الشيطان.

– ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ [آل عمران:١٩٦]، ليس العبرة في نعيم الكافر الدنيوي وطول عمره؛ بل مصيره الأخروي.

– ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء:٥]، لا يلزم من منع المال عن السفيه القول السيء والتبكيت.

– ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧]، أيها التائب! استشعر أنك تسير حيث يحب الله ويريد.

– ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء:٣٦]، قلة المعروف مع الجار وعدم السؤال عنه، وسوء التعامل معه مؤشر لضعف الإيمان واهتراء المروءات!، وتأمل الأحاديث "فليكرم جاره"، "وتعهد جيرانك"، "ما زال جبريل يوصيني بالجار".

– ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء:٣٩]، من دعائم الإخلاص في الإنفاق اليقين بأن هذا المال من رزق الله وهو منةٌ منه سبحانه على عبده الضعيف، وليس من المروءة وحسن القضاء أن تؤدي المال لصاحبه وأنت تشير بالفضل والمعروف لذاتك.

– ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٥٤]، الحاسد معترضٌ على قسمة الله وهو في التوحيد مُرتاب قبل أن يكون في الآداب معاب.

– ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦]، من أجلّ أسباب التوفيق للثبات الائتمار بأمر الله والانتهاء بنهيه وهي على عظمها وسمو شأنها لكنها ميسرة محددة وهذه من رحمة الله وحكمته.

– ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء:٧١]، التوكل على الله والشجاعة لا تتنافى مع الحذر والأخذ بالأسباب.

– ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧]، من طلب الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه؛ وهي مطردة في نبذ الاستعجال حتى في أمور النصر والتمكين.

– ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، أين من أعطى الإدراك البشري سلطة الحكم النهائي في أمر الدين كله؟

– ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٣]، ضراوة الفتنة على غير العالم توجب الصدور عن العالم الرباني، الصدور من غير العلماء في النوازل مهلكة مضلة، وآفة الاعتداد بالنفس في أمواج الحياة العاتية الغرق.

– ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء:٨٤]، يباشر المسلم الصادق العمل الصالح وسرعان ما يحرض عليه إخوانه نصحا وحبا (فقاتل وحرض: تفيد عدم التأخير).

– ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء:٨٥]، لم تنته مهمة من خان المسلمين في الشفاعة لغير من يستحقها بالإثم اللازم؛ بل سيسأل ويحاسب عن غرمها وآثارها.

– ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٠٤]، ساعة وهن وفتور عن العمل لدين الله تتيح للعدو المتربص التقدم بالذراع والباع فلا تهنوا لأنهم يألمون مثلكم .

– ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٣٠]، سعة رحمة الله ورزقه فلم يكن الطلاق آخر الحياة فربما كان بداية الغنى والسعة.

وتأمل "واسعاً حكيماً".. للذين توقفت عندهم آمال الحياة الأسرية، وانتهت إلى مفترق طرق، الله واسع في فضله وجوده يعطيك من السعة بعد الضيق والفرج بعد الكرب مالا يخطر على قلبك، الله حكيم فيما قدر لك فما هو إلا خير كان لك أو شر صُرف منك.

– ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠]، خطورة إمضاء الكلام الذي يلوك في الشريعة وأهلها دون تبيين موقف ولو بالانصراف. من سكت عن الباطل يدار أمامه ثم جالس أهله فهو أحدهم.

– ﴿ولَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١]، أي سبيل للكافرين على المؤمنين سببه ثغرة وفجوة في حقيقة الإيمان، فإذا صح الإيمان كان التمكين.

– ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٦]، يجب على المنافق في التوبة مالا يجب على غيره، لأنه قد أفسد مقاصده حتى استولت على سكناته وحركاته فصار عبداً لهواه، بخلاف من كان فاسقاً أو كافراً فإنما هو على خطأ وفسق ولكن ليس كالمنافق...لذا كان عليه التوبة والإصلاح والاعتصام وتحقيق الإخلاص ثم بعد ذلك يُلحق بالمؤمنين، وتأمل "مَعَ الْمُؤْمِنِينَ"، وكأنه تقريعاً للنفاق وأهله فإن تابوا يُتبعوا مع المؤمنين الذين لطالما خادعوهم وخانوهم وادعوا غفلتهم واستهزؤوا بهم، فكان التائب من النفاق مع المؤمن، ولم يقل الله بأنهم مؤمنون بداية، ثم قال ختاماً ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل (وسوف يؤتيهم) حتى يكون الجزاء عائد حقيقة على المؤمن، دون الضمير الذي يحتمل، فما أبأس النفاق !

– ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧]، الشكر والاعتراف لله بنعمه علامة الإيمان ووجاء من النيران.

– ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٨]، أيها المظلوم.. إن رفع المظلمة عند الله ليست كالبشر، فلا تحتاج لصوتٍ عالٍ أو كلام بليغ وحروف منمقة، إن الله سميع يسمع شكواك ولو كانت أنيناً في الصدر، لأنه عليم بكل شيء "سَمِيعًا عَلِيمًا".

– ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩]، ليس كل فعل خير وعفو يعلمه الناس فلا تستقل الأخلاق الطاهرة التي تتنفس بها؛ الله يعلمها .

– ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١]، إذا تاقت نفسك لبحث كل حكمة تشريع، أو خاضت في سر نهي، وباتت دائماً تلهث خلف ذلك فادفعها بـ"إن الله يحكم ما يريد".

– ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:١]، كم بين المؤمن وبين ربه وبين الخلق من ميثاق وعهد، وهو الآن مطالب بالوفاء والالتزام بالوفاء خصلة للمؤمنين.

– ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ۖ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة:٤]، العلم يشرف صاحبه مهما كان، فالكلب المُعلَم يُحل ما أمسك من الصيد بخلاف غير المُعلَم!، فالعلم العلم..

– ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة:٣٢]، مادة التحفيز من سبيل إحياء النفس الميته المكبتة، فإيقاظ المهجة حياة لصاحبها وحياة لمن حولها .

– ﴿ ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٤١]، إذا رأيت المواعظ والآيات تطرق أذناً صماء وقلبا غافلا، فلا يذهب هاجسك لضعف ما نزل ولكن الله أراد.

– ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة:٥٢]، أي إسلام بقي في قلب الذي يخطب ود أعداء الدين، فيخشاهم ويظن أن الصولة لهم، ولم يكتفوا بالولاء والخشية بل المسارعة فيهم، إنه النفاق وسوء الظن بالله.

– ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤]، أعمال القلوب قبل كل شيء، فلا حركة صحيحة قبل اعتقاد صحيح.

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ*وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة:٥٧-٥٨]، في الآية الأولى اتخذوا الدين هزوا، والثانية خُصّت الصلاة لعظمتها، فهي شعار المسلمين وعمود دينهم، فإن ينل منها نيل من كل شيء.

- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤]، لن تجتمع لليهود كلمة، وستخبو كل نيران حروبهم وتفشل، ولن يقر لهم انتصار، والله غالب على أمره.

- ﴿﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة:٨٢]، ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦]، ما أعمى البصائر مثل الكبر، وما فتح مغاليق الفهوم ولين القلوب للحق مثل التواضع.

ففي الآية الأولى كان النصارى اقرب مودة لأنهم لا يستكبرون، وفي الثانية صُرف الاتباع لآيات الله والفهم لها ممن تكبر واستعلى، ومفهوم المخالفة ستؤتى آياتي للذين يتواضعون في الأرض.

- ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة:٩٢]، احذر بعد طاعتك، فلا تغرك!

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٩٤]، لست بمعزل عن العالم العلوي، فكل ما يتزين لك بالخفاء ويتيسر لك في الوراء فهو أمام عين الله جلي ظاهر ليعلم من خشي صدقا وادعاءً.

– ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾ [المائدة:١٠٦]، حالة المؤمن بعد الصلاة أقرب للخشية والاستسلام لأوامر الله ونهيه، فمن لم تكن هذه حالته فليراجع خشوعه.

– ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة:١١٧]، ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود:١١٢]، ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [الشورى:١٥]، لو كان لإنسان أن يدعو كما يرى لكان الأنبياء، ومع ذلك يدعون كما أُمروا، فكيف بمن دونهم!

– ﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩]، أيها الصادق إن كنت ترى صدقك قد ضرّك يوماً، فهناك لن ينفعك سواه.

– ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام :١]، طريق الحق واحد، والضلال طرق؛ فهي رحمة للمؤمن فلا يرى إلا نوراً واحداً والمنافق والكافر في الظلمات ليس بخارج منها.

– ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٦]، الحياة حياة القلوب!

– ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣]، عطاء الدنيا ليس مقياسا في صلاح العبد وفسقه، وهو فتنة لمن في قلبه مرض.

– ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٤]، أي شعور ينتاب المؤمن، وأي إحسان بربه وهو يعلم أن الله تعالى ألزم نفسه بالرحمة، فلا تفتؤ دعوات الرجاء في رحمة الله للأوابين، ولن يصدهم عن التوبة صاد!

- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥]، معرفة أهل الضلال والإفصاح عن منهجهم للتحذير منه منهج رباني ابتدأه الله في كتابه. ولن تجد هناك وصفا لدهاليز المجرمين ومخططاتهم كالقرآن، فلا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور إلا الله .

- ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧] ، لو كان بيد أحد من الخلق نصرة عباد الله على أعدائه لكان بيد رسوله، ومع ذلك يوكل الأمر بأمر الله لله؛ وسائر الخلق من باب أولى ينصرون دين الله وليس بأيديهم أداة النصر الحاسمة.

- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۚ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام :٩١]، (تجعلونه قراطيس) اعتاد مرضى القلوب تحوير المعاني العظيمة لماديات جافة، فهي تقضي على مآربهم وتفسد مشاريع الخبث والفساد.

وتأمل قوله: (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) إذا صدح الداعية إلى الله بقول الحق، فلا يضره من ضل بعد ذلك إذا اهتدى.

- ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام :١٠٨]، حبك لله يجعلك تغلق الطرق دون استنقاصه والنيل منه.

- ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام :١١٦]، من رسم طريق الحق بكثرة الأتباع فقد ضل طريقه!

- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٩]، ينصر الله دينه من حيث لا يحتسب أهله، فهلاك الظالمين ببعضهم من منن الله في النصر!

- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ [الأنعام:١٥١]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الأنعام:١٥٢]، النهي عن القرب أبلغ عن مجرد النهي عن الفعل، فهو يعم الوسائل والمقدمات.

- ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٣]، من رحمة الله أن الطريق إليه بين الدلالة، واضح المعالم، وسهل السلوك.

- ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٢]، من لم يتمكن الإيمان والقرآن من سويداء قلبه ضعف بلاغه لهما ولو أنفق ما في الأرض!

- ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]، لم يكن ينقص إبليس العلم والاعتقاد؛ ولكن الاتباع الاتباع الاتباع.

- ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢١]، لا تغنيك عهود وأيمان الغادر شيئا!

- ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٧]، أزلية العداوة تعني عند المؤمن شيئا!

- ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦]، جمال المرء في روحه وتقواه؛ ولباسه أمر تكميلي لا يغطي رداءة الروح وسوء الخلق.

- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٥٧]، إذا حملت الأخبار السارة فلتكن البشريات من أمامها والسعادة تحفها لتكتمل البهجة ويعم الحبور.

- ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف:٧٩]، عدم حبنا الشخص الناصح لا يسوغ لنا ترك نصحه فالهلكة مع الإعراض.

- ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف:٨٢]، التطهر بالأمر بالقسط، والتوحيد، هذه تهمة الأنبياء في أعين من لا خلاق له .

- في الآيتين:

﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف:١٥٠]

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف:١٥٤]

الغاضب يفقد التوازن في أفعاله فاحمله على كف التغافر، وسوء القرار يكن أحيانا نتيجة الحالة التي خرج في وقتها وخضع لها صاحب القرار، فلا تقرر حتى تستقر لكيلا تكون ردة فعل تندم على عواقبها.

- في الآيتين:

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥١]

﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح:٢٨]

مشروعية البدء بالنفس في الدعاء.

- ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٥]، خطورة السفهاء على الأمة إذا لم يؤخذ على أيديهم، فهم مصد عن التوفيق مجلبة للعقوبة مفسدة للعقول.

- ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤]، أدنى مطالب الداعية إلى الله الإعذار إلى الله. وأعلى تلك المطالب : بث التقوى وإصلاح القلوب.

- ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٧٠]، أولى سمات صاحب القرآن إقامة الصلاة، فإن لم يكن؛ فليراجع علاقته بالقرآن.

- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩]، لا عبرة بالجوارح الموهوبة مالم تحرز صاحبها من جهنم وبئس المصير.

- ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨]، من اعتقد في النبي حال حياته النفع والضر، فهو ضال فكيف بذلك بعد مماته صلى الله عليه وسلم؟!

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]، التقي يمسه الشيطان ؛ ولا يستولي عليه، وسرعان ما يفيق.

- ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢]، الله مصرف الكون ومقدر الأقدار، من رجاه نجا ومن انصرف إلى غيره خسر، ينصر عباده كيف يشاء فلا قوة منهم تشترط ولا كثرة منهم تعتبر، ينصر عباده من حيث لا يحتسبون .

- ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال:١٦]، وفي غير الحياة الجهادية يمتد المعنى كذلك فيمن يتولى بدبره عن مقارعة المنافقين والكفار بالبيان واللسان.

- ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:١٧]، من رحمة الله بالمؤمنين أن ينوب عنهم في القوة والرمي أمام أعدائهم، وذلك إذا قاموا بالإيمان واتخاذ الأسباب.

- ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣]، من يرد الله به خيرا يوفقه لفهم القرآن وتدبره.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤]، هداية القلوب وصلاحها بيد العزيز الغفار فلا يطلب صلاح القلب من غيره ولا يرجى ثبات من دونه.

– ﴿إِوَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال:٤٢]، الذي يحدث في مجريات الكون وأحداث الحياة ليس على محظ الصدفة أو محل العفوية بل أقدار مكتوبة لحكمة معلومة.

– ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥]، لا يعين العبد على ثباته مثل ذكر الله فهو أنسه في الخلوة وعزه في الجلوة.

– ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال:٥٥]، إذا أردت أن تعلم من أشر من الخنزير والحمار وكل من استقذر قربه أو سفلت مكانته من الدواب فهم الكفار.

– ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٦٠]، ليس عند المؤمن وقتاً للخمول أمام عدوه فإن لم يكن في حال الجهاد فهو في حال الإعداد!

– ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٦٦]، قال: (مئة صابرة)، وقال: (مع الصابرين) ولم يقل (مقاتلة/مُقاتلين) لأن العبرة بالصبر وهو الزاد والمؤثر الحقيقي.

– ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" [الأنفال:٦٧]، ليس لعبد مهما كان حاله وعلمه أن يزكو من أطماع الدنيا ومسارب الهوى ودواخل الشيطان فليفتش المرء نفسه وليعظ غيره، ولو كان على شفير موت في سبيل الله!

– ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٠]، مشروعية دعوة الأسير والخطاب معه باللين.

– ﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٢]، عظم المواثيق في شريعتنا والوعد لمن قام عليها والوعيد لمن نقضها وخانها.

وهذا ندب للوفاء به مع كافر والمؤمن يستنصر، فكيف مع مؤمن؟!

– ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١٣]، لن تجد في قلب المؤمن غير الله رقيبا وحسيبا .

– ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ(١٤)وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ(١٥)﴾ [التوبة]، من لم يسره علو الإسلام ولم يغمصه انتفاش الباطل فليراجع إيمانه!

– ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]، يحاسب الله العبد على محبوباته القلبية والتي لا يعلمها إلا العليم الرقيب، فاعتن بمحبوباتك وقدم محاب الله على ما تحب.

– ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة:٢٦]، من منة الله على عبده حال الجزع أو الخوف أن يذيقه برد السكينة وهي أولى محطات الثبات وإنجاز ما وعد الله، وتأمل: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠].

– ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩]، من عمل على إعلاء كلمة الكفار فقد صادم الوحي وخالف الكتاب، فالصغار حق أهل الكفر ومستحقهم ولو علوا.

– في الأشهر الحرم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة:٣٦] والسر ليكون الكف عن الهوى فيها وسيلة لاستمرار الكف في غيرها وتدرجا إلى فراق مألوفات في النفس المحرمة.

– ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ" [التوبة:٤٦]، كل عمل صالح لم توفق له راجع نيتك فيه فربما هناك الخلل.

– ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤]، المنافقون يُصلون ويتصدقون؛ لكن القلب السقيم يشل الجسد ويمرد النفس عن دوافع الخير.

– ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ [التوبة:٥٥]،ليس كل من آتاه الله مالا وولدا أرادها له نعمة عليه، والموفق من راعى الله فيهما!

– ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ [التوبة:٦٩]، إن بسط الرزق ليس دليلا على محبة الله للعبد! وتأمل: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥]،﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧)﴾ [آل عمران].

– ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣]، مشروعية الغلظة والقسوة في النضال مع المنافقين.

– ﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة:٧٦]، من رحمة الله بعباده أن قسم الأرزاق بينهم فبسط لبعض وقدر على آخرين رحمة بهم، فربما لو رُزِقوا لخسروا ما هو أعز لديهم من المال. فلا تلح في سؤال الدنيا فربما كان الخير في منعك منها.

– ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة:٧٩]، العطاء البدي أخو المالي، ولا يسخر منه إلا محروم.

– ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة:٨٣]، الخروج للجهاد ومدافعة الكفار اصطفاء واختيار لمعالي الرجال وخيرهم؛ لا يستحقه سفسافهم وأذيالهم "لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة" [التوبة:٤٧].

– ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:٩٢]، تكاد تتفطر تلك النفس كمدا و كأنها تفارق حبيبا إلى قبره! إنها نفس المؤمن حين تعجز عن العمل الصالح لعدم الاستطاعة.

– ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٥]، لا يزيد القرآن المنافق ومريض القلب إلا إعراضا وصداً.

– ﴿۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]، قيام الدين يكون بأهل العلم وأهل الجهاد ولا غنى عن أحدهما لا من الأمة ولا من الطرفين تجاه بعضهما.

– ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧]، تقرير لوجود أمراض القلوب وبيان لطريق الشفاء الأمثل منها (القرآن).

– ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، ولي الله: يتحقق له الأمن في الآخرة، والاستقرار النفسي في الدنيا، فلا فزع هناك ولا جزع هنا.

– لا يقتصر وبال ضعف الأخيار وتضارب جهودهم وسوء تخطيطهم عليهم، بل فتنة لغيرهم فيضلوا ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:٨٥].

– ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩]، الحرص على الناس شيء وإكراههم على الخير شيء آخر، فالله بيده الهداية وأنت بيدك الدلالة.

– ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ "[هود:٨٠]،﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود:٩١]، دور وأثر العشيرة في نصرة الدعوة مهم فلا ينبغي للداعية إهمالهم واستهانة أثرهم.

– ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود:٨١]، مع أن مرادهم الأضياف (الملائكة) مع ذلك قالوا لن يصلوا إليك؛ لأن الضيف بمثابة النفس وأشد!

– ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود:٨٨]، الداعية الصادق يبدأ بنفسه فينهاها عن غيها؛ ليُعذر في الوعظ، ويُقتدى به في الفعل، ويُقبل منه التعليم.

– ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود:١١٢]، تتزلزل النفس وتطالع بحماليقها لطف الله حين تعي لوازم قول الحق.

– ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[هود: ١٢٠]، رواية القصص لها مرامي: التثبيت، الوعظ، والتذكير، فمن خرج عن ذلك فحديثه مضيعة للوقت وإسراف في الكلام.

– ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف:٥]، التحدث بالنعمة عند من حُرمها مظنة الحسد والضغينة.

– ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٢٢]،﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص:١٤]، بعد بلوغ الأشد يندب التصدير، وقبل لك مظنة الضلال والإضلال.

– ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٩]، أشد مضاضة العداوة من القريب، وما وجد في الدنيا أعظم مما فعله أخوة يوسف به، ولا يوجد أعظم مما صدح به يوسف تجاههم، وعلى ذلك سار النبي في فتح مكة.

– ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ "[يوسف:٣٣]، ردهات القصور الفاتنة أحقر وأرخص من زنزانة يخلو بها المرء مع ربه ويصلح بها قلبه.

– استخلص الملك يوسف له: ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف:٥٤]، ثم اجابه يوسف: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ [يوسف:٥٥]، فلم يتشوف يوسف لها ابتداء!

– ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ [يوسف:٧٧]، أسرها وهو "مكين أمين".

– ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك، ولا تذكر مصيبتك). (منهاج القاصدين)

– بعد أن مكن الله يوسف قال : ﴿إِنهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٩٠]، فلا تعد الأيام وتنظر لليالي، بل تقوى محلاة بالصبر حتى يحكم الله!

– ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٣٩]، إلى اليائس إلى كل مبتلى إلى كل مسلم! من بيده كل شيء ومن يعلم كل شيء هو القادر على أن يغير حالاً إلى حال، فاسأله ولا تيأس.

– ﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم:١]، فهل سنخرج للنور بغير القرآن؟ وهل سيفلح من طلب الهداية في غيره؟

– ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [ابراهيم:٤]، معرفة أحوال الناس وبيئتهم سبب رئيس للتأثير فيهم.

– ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [ابراهيم:١٤]، إذا التقى أولياء الله مع أعداء الله فقد رجحت الكفة، وبانت النتيجة.

– ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣]، من أبرز أسباب الضلال = الغفلة وطول الأمل، وضده أبرز أسباب الهداية = الجد وقصر الأمل.

– ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج:١٨]، لو عزم أهل الأرض أن يكرموا فردا قد قضى الله بإهانته فلن يكون.

– ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]، تشبث الغل في قلب العبد في الدنيا يجعله لا يخرج يوم القيامة إلا انتزاعاً؛ وطوبى لمن عاش في الدنيا بقلب لا غل فيه ولا حسد؛ كأنه في الجنة.

– ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨]، الأصل امتداد العين قبل امتداد اليد، وغالبا من لهت عينه بالطمع والنظر لم تحبس يده عن الأخذ.

– ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ(٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ(٧)﴾ [النحل]، لم تهمل الشريعة نزعة الإنسان للجمال وحب الزينة، بل قد تكن عن البعض أولى من غيرها، فقد قدّم الله في منته بالأنعام بالجمال على حمل الأثقال.

- ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:١٤]، نعم البلد التي فيها بحار وأنهار (والمال والطعام والخير الكثير).

- ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]،كنت لا تعلم شيئاً فعلمت، فلعلك تشكر.

- ﴿ونَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، ولا يزال البعض يبحث عن البيان والهداية والرحمة والسعادة في غير كتاب الله!

- ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥]، مهما بلغت من العلم والتقى والتوفيق فتركك لأسباب التبليغ الحسن والخطاب اللين مدعاة لتنفير الناس وإعراضهم.

- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥]، تفضل الله علينا بتحريم الخبائث دون غيرها رحمة ولطفاً، وليس كاليهود حرمت عليهم بعض الطيبات ابتلاء وعقوبة.

- ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء :٢٥]، محط نظر الله في العبد قلبه فالسير سير النفوس قبل الأقدام، والحصيف من وُفق لهذا.

- ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء:٢٨]، إن لم يسعد المال فليسعد الحال.

- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء :٣٢]، وحشة الزنا في القلوب عظيمة بادئ الأمر، ولكن الوقوع فيه على خطوات. فتحريم الوسائل عين الحكمة.

- ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء:٣٩]، كم مرة قرأنا القرآن بتدبر (التماسا للحكمة)؟

– ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، إذا أخذت النفس بالإعجاب من عملها، فلا تنس أن ما حولها وما خفي عنها من الخلق يقومون بذلك العمل وربما أحسن و أدوم.

– ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣]، اختصار برامج الاتصال ودورات فن التعامل في(يقولوا التي هي أحسن)، ثم لن تجد بعد تطبيقها سوى الحب والمودة.

– ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]، قد ينال أهل الحق هزيمة وضرر، ولكن الحق ثابت لا ينهزم.

– ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢]، فكما أنه يشفي الأسقام فهو شفاء لأسقام القلوب من الشبهات والشهوات.

– ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء:١٠١]، حين يتكبر الظلمة عن الحق يبدأون بإلصاق التهم والتشكيك في الدعاة.

– ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء:١٠٧]، قال أبو الأعلى التيمي: إن من أوتي من العلم مالم يبكه لخليق ألا يكون أوتي علما ينفعه.

– ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف:١٦]، مشروعية العزلة عن بيئات الفساد والإفساد، وأن زينة الدنيا لا تعادل كهفاً مظلماً فيه الهدى والأمن على الدين.

– ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠]، دعاء شامل كامل لمن أقدم على أمر أو حلت به نازلة وأراد الهداية والسداد.

– ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]، "وزدناهم" زادهم الله هدى لما اهتدوا، وفي الحديث القدسي "من أتاني يمشي أتيته هرولة".

- ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:١٩]، فالتلطف والحرص على ألا يشعر بهم أحد هي أسباب لا تنافي التوكل.

- ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٢]، صفة الجدال الحسن الناجع أن يكون فيما ينفع!

- ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]، صفات البيئة الصالحة: العمل والدعوة إلى الله، الاستمرارية على ذلك دوام اليوم، تقديم الله على كل شيء، وأخيراً ظهور الإخلاص عليهم. أولئك لا تعد عيناك عنهم.

- ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف:٣٩]، مشروعية هذا القول إن أُعجب الإنسان بشيء ولو كان ماله.

- ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف:٤٠]، جواز الدعاء بتلف المال على من كان المال سببا لطغيانه .

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف:٦٠]، الجد في الطلب والعزيمة تجعل بلوغ المرام مع مظنة المشقة أقرب الأماني والمطالب.

- ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف:٦٣]، أهلية النسيان في العذر، ولا يقتضي المؤاخذة والملام.

- ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٨٢]، جواز العمل في مال الغير على وجه المصلحة الحالة وإزالة المفسدة كذلك، ولو بغير إذن صاحبه.

- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف:٣٧]، لا استكانة أمام الطغيان .

- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف:٩٥]، ذو القرنين أتى هناك بأوصاف إدارة العمل وفريقه بشكل باهر..

١. تحديد الهدف ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾.

٢. التعاون والتحفيز ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾.

٣. استغلال الموارد والفرص ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾.

٤. الاعتداد بالله ﴿فِيهِ رَبِّي﴾.

٥. المشاركة في العمل ﴿آتُونِي، سَاوَىٰ﴾.

٦. المشاركة الجماعية و تعاون الجميع ﴿انفُخُوا﴾.

٧. وضوح الفكرة ومراحلها ﴿رِدْمًا، زُبَرَ الْحَدِيدِ، انفُخُوا، جَعَلَهُ نَارًا، أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾.

٨. الإتقان ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾.

- ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم:٣]، نداء خفي تستجلب به خيرات السماء وبركات الأرض! فلا حاجة لرشوة مفقرة، أو مديح جماهيري مذل، أو إسفاف للمروءة مخل.

- ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم:٩]، كل قوانين الدنيا تهون عند قوة الجبار، وكل نواميس الكون تخضع لإرادة العزيز الحكيم، فلا تستكثرن مطلباً على، ولا تستعظمن عطاء عنده سبحانه.

- ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:١٢]، إعطاء الشاب الفرصة في العطاء والبذل لهو خير استغلال لباكورة عمره وجدة ذهنه، وخير استبقاء لانتمائه.

- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم:١٤]، ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٣٢]، عاق الوالدين جبار عصي شقي.

- ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٩]، ترك عترته وعصبته لوجه الكريم، فأبدله بهم أنبياء بررة، ما أكرم الله!

- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٣]، من رحمة الله للعبد أن يهب له من أهله من على طريق جادته وسبيل دعوته.

- ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم:٥٨]، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء:١٠٩]، ما أبهى صورة الخشوع، وما أعظم تلك اللحظات، فدفق تلك الدمعات خشية وخضوعاً لا تزن بالدنيا!

- ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه:٥]، اختيار الزمان والمكان المناسبين من فطنة الداعية لانتهازه فرصة اجتماع الناس فينتشر الخير.

- ﴿لِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه:٣٩]،﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:٤١]، ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الأعراف:١٤٤]، هكذا الدعاة يختارهم الله ويعتني بهم؛ لأن الدعوة اصطفاء واختيار.

- ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه:٤٢]، الفتور في الذكر يقطع حبل التوفيق والوقود المعنوي.

- ﴿قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَن يَفرُطَ عَلَينا أَو أَن يَطغىٰ ۝ قالَ لا تَخافا إِنَّني مَعَكُما أَسمَعُ وَأَرىٰ﴾ [طه:٤٥-٤٦]، ﴿فَلَمّا تَراءَى الجَمعانِ قالَ أَصحابُ موسى إِنّا لَمُدرَكونَ ۝ قالَ كَلّا إِنَّ مَعِيَ رَبّي سَيَهدينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]، في الآية الأولى كان موسى ابتداءً قد داخله الخوف، حتى نصب في قلبه وتد اليقين، وفي الآية الثانية لما أدركه القوم وكاد أن يقع ما خاف منه كان هو مصدر اليقين والتثبيت "كلا إن معي ربي سيهدين"، وهذا شأن المناضل، إن لم يبث اليقين والصبر فليسعه بيته وليكبر وسادته.

- ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [طه:٦٥]، من مغانم الأدب = الهداية.

– ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه:٧٨]، فيه بيان شؤم الطاغية على قومه.

– ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، انشغال القلوب باللهو يصرفها عن الحق.

– ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [الأنبياء:٤٥]، أعظم ما توعظ القلوب وتنذر به جماهير الناس هما القرآن والسنة، وما سواها لا يقوى على تأثيرها!

– ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣]، فيه بيان جواز استخدام الحيلة لدحض الشبه.

– ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء:٩٤]، الأعمال الطيبة التي لا تنطلق من مشعل الإيمان، لن تكون ذات نفع أخروي؛ بل هباء!

– ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [الحج:٧٢]، دائماً ما يلجأ أهل الباطل للعنف؛ لعجزهم عن مواجهة الحجة بالحجة.

– ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:٢]، إثبات حنان وشفقة الأم، وذلك أنها لن تترك رضيعها مهما بلغت الظروف؛ إلا يوم الفصل!

– ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج:٣٧]، في كل عمل صالح لا اعتبار بكثرة ولا صورة ولا وفرة بل بما يتحرك في القلب من إيمان.

– ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٤]، العلم من أعظم وسائل الإيمان والإخبات والثبات على الصراط المستقيم.

– ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:٢]، (في صلاتهم) عبر عن الصلاة بالمدخول، وكأن المؤمن يدخل في جباء بحالة السكينة، ولا تنقطع عنه هذه الحالة حتى يخرج.

– ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون:٩]، (على صلواتهم) والتعبير هنا كمن قام على شيء يحرسه أو يربيه، فالمؤمن قائم على صلاته يحافظ على أدائها في وقتها وعلى أداء أركانها وواجباتها وسننها.

– ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون:١٨]، كل نعمة قابلة للزوال، فارعها بالشكر.

– ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون:٣٤]، ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٧]، الطغاة لا يقبلون مزاحمة الصالحين لهم .

– ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩٦]، المنهج الرباني الدعوي هو أن تبحث كيف يصلح الناس وينتصر الدين وتحيد ذاتك بعيدا، وعنده وحده الفصل.

– ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون:١١٠]، الولوغ في التهكم بالأولياء والانشغال بأخطاء الأصفياء عقوبة تورث نكالا، ومقت يورث عقابا.

– ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١]، لا وقت عند المؤمن للتفكير بين سماع الوحي والاستجابة له!

– ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣]، المتاجرة بالأعراض سيرةٌ باقية من أعمال الجاهلية.

– ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:٧]،﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠]، رسل الله مع الناس، يغيرون بالمعايشة والقدوة، لا بالمصانعة والاعتزال.

- ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ(٢١٦) ﴾ [الشعراء]، اللين والتواضع للأتباع حتى وإن عصوك، فلن يكون ذلك براءة منهم بل من أفعالهم فقط!

- ﴿يا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:١٠]، من سار على درب الرسل وظيفة ومنهجا فهو لا يخاف من الطريق؛

- ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، توصلك النعمة لشعور بهيج فتضحك وتسعد، ولكن لا تمنعك فضيلة الشكر لله وإلهامك به.

- ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل:٢٠]، (وتفقد الطير) القائد الحقيقي يتفقد بحزم ويعس بعزم!، (أم كان من الغائبين) علو كعبك لا يبيح لك إساءة الظن، وترك المحامل الحسنة.

- ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل:٢٧]، من كمال الرزانة التثبت من الأخبار أن يصيب قوما بجهل ويسرع فيصبح نادما.

- ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦]، عزة المؤمن واستقلاله تحصنه من استيلاء الدنيا وأهلها.

- ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠]، يقظة شعور المؤمن تجاه نعم الله بالشكر تحفظها.

- ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل:٤١]، فيه اختبار ذكاء الخصم بغية التعامل معه بما يتناسب.

- ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، إبراز التفوق على الخصم للتأثير فيه.

- ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ [القصص:١٣]، لا أجمل من وجود الأم في لوحة الحياة، تزينها وتزيدها بهاء، حتى إذا اختفت منها باتت تلكم اللوحة كئيبة سوداء! وتأمل: ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾، فليس عند الأم أشهى من وجود ابنها عندها.

- ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٢٠]، فضل المبادرة للنصح لاسيما لإنقاذ النفس.

- ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، الاستجابة لنصح المخلصين دلالة العقل واستقامة الفكر.

- ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥]، جاءت تمشي ولم تسرع، وفي حياء يغطي خطواتها وهديها، ثم نطقت بعد أن وصلت!

- ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص:٣٤]، مهام الدعوة تكاملية، فليس الهدف إبراز الذات بقدر ما هو أن يسد المكان من هو أولى به؛ لأن المحصلة واحدة.

- ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠]، العاقل من آثر الباقي على الفاني فلا تذهب نفسك حسرات على فتات.

- ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]، المؤمنة تحرص على ما يقوم مكان خروجها ومعاسفة الناس. والعبرة أيضاً في مشاركة البنت الرأي وأخذ مشورتها.

- ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت:٣٢]، الدعاة المصلحين يعلمون أحوال بعضهم ويدافعون عن نفسهم.

- ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت:٤١]، من ضعفت عقيدته تخدعه القوى الأرضية دائما!

- ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١]، أهمية التذكير بالقران والاستماع إليه، إذ تحلّ الرحمة والتذكر ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

- ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]، من رام الهداية جاهد نفسه وعدوه في سبيل الله مخلصا محتسبا!

- ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:٧]، لا عبرة بعلوم الدنيا مالم تكن الآخرة معتبرة عند العبد.

- ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم:١٧]، المؤمن الذاكر لا يلتهي عن الله صباحاً ومساءً.

- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]، المؤمن يرى معصيته فيما تعسر عليه من دنياه فيرجع ويؤوب بخلاف غيره.

- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم:٤١]، كل الخلق براء من إفساد الكون إلا أنت أيها الإنسان، وهذا الفساد ليس إلا بعض صنيعك، فتب وأنب!

- ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" [الروم:٥٩]، من طبع على قلبه فلن تجد له هاديا.

- ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان:١٥]، هذان الوالدين إن كانا كافرين، فكيف بالمؤمنين ،وكيف بالأتقياء الأنقياء؟!

– ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧]، الابتلاء من لوازم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يلجه إلا صابر ولا يقوى عليه إلا محتسب!

– ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]، إكسير الإمامة=اليقين والصبر.

– ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب:١]، هنا يوعظ النبي، وليس أحد أكبر من أن يؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر.

– ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٤]، فضل إعمار البيوت بالذكر، والبيت الذاكر محط الرحمة والعفاف والستر.

– ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣]، رغم طهارة الفريقين في خير قرن، لكن الفتنة لم تؤمن، فكيف بمن دونهم؟!

– ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ:٦]، فضل أهل العلم وفضل العلم على صاحبه .

– بعد أن امتن الله على داود وسليمان بالنعم قال ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ:١٣]، فشَكروا ونُعموا، ثم ذكر سبأ ونعيمهم وقال ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [سبأ:١٥]، لكنهم أعرضوا، فبُدل النعيم وغُير عليهم، وصدق الأول: قيدوا النعم بالشكر!

– ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:٤٣]،لو يعلم الماكر عاقبة مكره وعلم الله فيه لأحجم!

– ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٤]، نعيم الجنة معنوي ومادي.

- ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]،﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:٥٠]، من فضل الله أنه من يتولى المكر بالأعداء ولم يحمله عباده الذين قد تنطلي عليهم.

- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢]، الفطن من ماتت سيئاته معه، والأفطن منه من لم تمت حسناته، وعاشت بعده أبد الدهر!

- ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ [يس:٢٥]، فلا مداهنة في إعلان الموقف الصحيح مع مظنة الهلاك؛ لا سيما من الداعية القدوة.

- ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٢٦]، بعد أن قتلوه ولقي الخير تمنى لهم ذلك، إنها القلوب التي لم يخالجها الحسد والبغض.

- ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ [يس:٤٣]، منة الله على كل مخلوق ينطلق راكبا فيصل سالما.

- ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات:٥٧]، الحمد لك فلولاك ربنا ماهتدينا، وكما هديتنا فثبتنا!

- ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات:٦١]، أشرف العمل وأنجاه هو عمل الآخرة.

- رجلان ذكرا في القرآن وكلاهما نادا بالتوحيد! الأول أنجاه الله والثاني أغرقه. لنتأمل سبب نجاة الأول ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات:١٤٣]، وسبب غرق الثاني ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٩١]، فعبادات الرخاء عدة البلاء وسلالم النجاة.

- في الآيات الثلاث:

﴿واذكر عبدنا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٧]، ﴿ووهبنا لداود سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠]، وعن أيوب ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤]، ما أعظم العبد الأواب التائب! نعم العبد هو فكلما مسه الشيطان رجع.

- ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥]، غاية المعتذر عن خطئه أن يقبل الآخر عذره، لكن مع الكريم فيعتذر ويستوهب أيضا.

- ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤]، فيه جواز ضرب المرأة وقد فعله أيوب وهو من خيرة البشر. ومشروعية إعانة الزوجة زوجها لبر يمينه حال غضبه.

- ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤]، هنا المقاييس الربانية لتنعم بالعبودية!

- ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص:٤٦]، من كريم نعم الله الخالصة =أن تعمر الآخرة قلب العبد فيعمل لها، ويدعو للعمل لها.

- ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٦]، تقديم العقل على النص ضلال في الدنيا وعذاب في الآخرة. وهي سنة إبليس.

- ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]، حتى يقبل الناس على الداعية:

١- لا يطلب أجرا على دعوته.

٢- لا يتكلف ولا يأتي بزيادات على ما أمر به (فاستقم كما أمرت).

- ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩]، من علم عمل!

- ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:١٨]، أي ينتقون الطيب، ولا يضرهم الدقل والحشف.

- ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣]، سمة الهداية في القرآن أنها من الله وفقط، ولا حديث أحسن من القرآن فلا تنشغل عنه إلى غيره ولا يملأ قلوبنا سواه .

– ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر:٢٨]، كتمان الإيمان للمصلحة لا يخول السكوت حال الحاجة للصدح.

– ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ﴾ [غافر:٢٩]، ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص:٧٨]، بهذه العبارات والاعتبارات تتربع (الأنا) و(الفوقية) في ذات المخلوق الهزيل، فيُنزع البركة ويحرم التوفيق!

– ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر:٧٥]، عاقبة الفرح بالظلم والمرح باللهو البؤس والعذاب ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦].

– ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤]، الولي: القريب. الحميم: الصديق المحب المود. ابتدئ الحسنة ولن تحظى بولي فقط أو حميم فقط؛ بل ولي حميم. فزد أقاربك الوديدين بهذا العمل اليسير.

– ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى:٣٦]، النعيم في الدنيا لا يأتي غالبا عن مكرمة وحب.

– ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣]، منة الله على العرب خاصة لما أنزل كلامه بلغتهم ليتدبروه وينقلوه للأمم الباقية.

– ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف:١٨]، ضرورة الاهتمام بالأنثى وتنشئتها في بيئة آمنة وعدم إحراجها والتضييق عليها خاصة في آرائها، فربما كان البكاء والسكوت لغة واضحة. فلا تفرح إن صرعتها بالحجة، وسلبت مالها بالخداع، وأرغمتها رأيك بالدهاء!

– ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦]، من رام الهدى في غير القرآن تخطفته الشياطين واجتالته عن الطريق.

– ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف:٥٤]، فسق الناس وذنوبهم سبب لتسلط الظالمين عليهم، وكذلك فإن استقامتهم وصلاحهم سبب في دحر الظالمين عنهم.

– ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان :٢٩]، الكون الموحد يحزن ويشارك في نصرة الله، ومن يهن على الله هان على كل شيء.

– ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣]، المستسلمون لأهوائهم أشد عبودية من الرقيق لسيده ، والمعتق من رق الهوى أشد حرية من الطير في السماء.

– ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣]، لخطورة الهوى وتماهيه في دواخل النفس وسريانه مع رغباتها قد تزلّ به حتى قدم العالم "وأضله الله على علم"، فكيف بمن دونه؟! اللهم سلِّم سلِّم.

– ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩]، استمعوا فأنصتوا ثم بلغوا وهذه مراحل الداعية، فبعد سماع العلم واستيفائه القيام ببلاغه.

– ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧]، نصرة غير الله لا تستجلب نصر الله ولو تشابه اللبوس.

– ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٩]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد:٢٦]، ﴿..وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٢٨]، كراهية الحق وطاعة من يكره الحق وكره رضى الله أمارة نفاق وحبوط عمل...فتأمل ها العمل القلبي المحبط.

– ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد:١٦]، ليس كل من جهل كان غائباً عن العلم وأهله، فربما سمع ولكن له قلب مطبوع والعياذ بالله.

– ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧]، سيهتدي للطريق من بذل وسعه في تقصيه، ومثل ذلك التقوى فلن يعطاها متكئ، وطالبها سيهتدي لها، بل وزيادة!

– ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦]، يعامل الله العبد حسب ظنه به سبحانه .

– ﴿﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح :١٨]، لصحة عمل قلوبهم وهبهم الله السكينة والفتح والمغانم العاجلة والآجلة، ولن يطلع على القلوب غير الله!

– ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) ﴾ [الحجرات]، لا تقدموا العقل على الوحي، ولا تتراموا أقوال الرسول بينكم كأقوال بعضكم لبعض.

– ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦]، مفهوم المخالفة في مشروعية قبول خبر الثقة دون تثبت.

– ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات:٧]، أصل في ضيق العقل البشري ومحدوديته.

– ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات:١١]، المؤمنون كالجسد الواحد فلمزك لأخيك هو لمزك لنفسك ولا عزة بعد الإيمان بغيره قط.

– ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ [الحجرات:١١]، إذا منّ الله عليك بالاستقامة فحذار احتقار المسلم ولو كان عاصياً، فربما أذنب وندم فوصل وأنت تطيع وتعجب فتنقطع "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم"؛ ولأن مرد العلم بالمظهر عند الناس، ومرد العلم بالمظهر والمخبر عند الله، ولذا حرم الحكم على المخبر من المظهر.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات:١٢]، قال اجتنبوا كثيراً ولم يقل كل الظن، لأن بعض الظن يجب وخاصة مع أهل الشر!

- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥)فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ(٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ(٢٧) ﴾ [الذاريات]، من آداب الضيافة: رد التحية، تحضير المائدة بخفية، الاستعداد الحسن، عدم استثناء شيء من المائدة، الإسراع فيها، تقريبها لهم، والرفق في الخطاب.

- ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور :٢٦]، الإشفاق والخوف في الدنيا يؤدي للأمان في الآخرة.

- ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ [الطور :٢٨]، ما خيب الله من دعاه!

- ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم:٢٨]، ليس للظن أي قيمة علمية، ولا مستند لحق!

- ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم:٣٢]،﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١٦]، التحدث بالعمل الصالح وتزكية النفس بالثناء والمدح مظنة عدم الإخلاص وعدم القبول.

- ﴿الرَّحْمَٰنُ (١)*عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)﴾ [الرحمن]، خير صفه لمعلم القرآن الرحمة.

- ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن:١٠]، دعوة لاستغلال الأرض وثرواتها لصالح البشر وبني الإنسان أياً كانوا.

- ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٨]، تنوع أدوات التقديم من كمال النعيم!

- ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٣]، الحزن على ما فات من الدنيا والفرح بالحاضر فيها علامة على استيلاء الدنيا على قلب العبد وضعف الإيمان.

- ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة:١]، وصف الله ماجاءت به خولة بالجدال لأنها كانت لديها خصومة ولدد مع زوجها، وأسمى الله كلام الرسول معها حواراً؛ لأنه بعيد عن اللدد والخصومة.

- ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، رابطة الإيمان لا تتقادم مع تباعد الأزمان ومرور الأعمار، ولا تختلف مع اختلاف الأماكن والأنساب.

- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:٥]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦]، لم يشبه الإنسان بالحمار والكلب صراحة في القرآن إلا بمن علم ولم ينتفع بعلمه، وقد قال الأول شناعة وصف من حمل العلم دون العمل به.

- في الآيات الثلاث:

١. ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[الجمعة:١١].

٢. ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور:٣٧].

٣. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف:١٠].

أصل ذُكرت التجارة على سبيل الذم في الآيتين الأوليين، وعلى سبيل الندب في الثالثة لما كانت التجارة مع الله.

- ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون:٤]، الاهتمام بالمظهر وتلميع الصورة وتصفيف البيان لا ينفع العبد مادام القلب خاليا من ذرة إيمان!

– ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، الصدقة من أبر الأعمال رجاءً للعبد بعد موته فهلا تنافس فيها الأحياء؟!

– ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن :٩]، الغبن الحقيقي هو غبن الآخرة وما سواه يهون حزنه ويزول أثره .

– ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١]، نسبة البيت للمرأة يقتضي سيادتها، والنهي عن خروج المرأة من بيتها وإخراجها أيضاً حال الطلاق فكيف بغير المطلقة ؟!

– ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك:١٣]، نعم العبد الذي تستوي سريرته وعلانيته حسنا رقابةً لله.

– ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح:٩]، همّ الداعية المصلح لا يفتأ من العمل ولا ينصب من الحوار ولا يقتصر على الوسيلة الواحدة.

– ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، من آداب المؤمن الذي تغير بالقرآن أن لا ينسب الشر لربه أبداً.

– ﴿قم الليل إلا قليلاً﴾[المزمل :٢]، ليس للداعية الرباني زاد كقيام الليل وقراءة القرآن فمنها الصبر والأُنس، والعطاء على قدر البناء.

– ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ(٧)﴾ [المدثر]، من نظر في بذله وعده ورآه شيئاً تكاثره وربما قعد وسكن!

– ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[الإنسان:٢٢]، كان الله شاكراً لخلقه على أعمالهم مع الفارق، فكيف بمخلوق يسعى لمخلوق؟! "من لا يشكر الناس لا يشكر الله".

- ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾[الإنسان:٢٤]، اصبر ولو طال الأمد، اصبر ولو اشتدت الفتنة، اصبر ولو قوي الإغراء، اصبر ولو امتد الطريق!

- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾[المرسلات:٢٦]، إعمار الليل بالصلاة والذكر أرجى ما يكون لتثبيت المؤمن في الدنيا وتيسير الحساب في الآخرة.

- ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[المرسلات:٥٠]، من لم تحفزه مواعظ القرآن ليؤمن بالرحمن وحقيقة الجنة فلا يرجى له بعد ذلك إيمان.

- ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات:٤٦]، ما أقصر الحياة الدنيا!

- ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[المطففين:٢٦]، في غير الآخرة لا تنافس يستحق النصب والبذل.

- ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ [الأعلى:٩]، على الداعية تذكير الناس ودعوتهم مادامت مسموعة.

- ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١)لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)﴾[الغاشية]، الداعية لا يسوط الناس سياط السلطة بل بالحكمة والموعظة الحسنة.

- ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد:١٣]، عبادة فاضلة منسية! في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة: "أيما امرئ مسلم أعتق امرأ مسلما، استنقذ الله بكل عضو منه عضوا من النار" .

- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس:١٤]، يحيط العذاب بصاحبه ومن رضي بحصول الذنب!

- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ(٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧)﴾[الليل]، الإنفاق يصنع أنفاق الخير ويفك قيود العسر.

- ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩﴾[العلق:١٩]، لا يكفي العبد أن يبتعد عن المعاصي حتى يعمل الطاعات.

- ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[البينة:٣]، لا يفكك الباطل ويشرد الجهل إلا الحق المبين.

- ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾[الزلزلة:٧]، من علم أن الله يكافئ على العمل الصغير ويؤاخذ بالوزر الدقيق لن يحتقر من الموت شيئا يقدمه ولا يستصغر من الذنب أمرا يفعله.

- ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:٣]، عدم الحض والتحفيز لإطعام المسكين مظنة الهلاك الأخروي فكيف بالإطعام وهو أولى.

❖ أمثلة لإحدى وسائل التدبر:

شرف التدبر عظيم، بل هو المقصد الأول للقرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩]، وثمة وسائل كثر تناولها أهل التدبر في كيفية الإفادة من القرآن وكيف نتدبره، ومنها بحث الآيات التي في موضوع واحد والنظر في سياقاتها ومفرداتها، وسيجد المتدبر كيف لم القرآن الموضوع أو المفهوم الواحد من كل زواياه ودقائقه إذا ما شرع في هذه الوسيلة، ولا يستكثر أن يجعل له ختمة لكل موضوع يبحثه دون الرجوع لمحركات البحث، لأن القراءة الواعية والباحثة تكون وقّادة متلهفة وقد تأتي على ما لم يكن بالحسبان.

إذن هذه الطريقة من أفضل الطرق، إذ يرصد المتدبر كل آية في ذات الموضوع، ثم يبدأ بالنظر في ألفاظها وسياقاتها، والربط بينها، فستنكشف له كثيراً من المعاني، وهنا أمثلة لبعض الموضوعات وتأمل في الآيات التي في ذات الموضوع وكيف كانت مجملة له مكملة:

أ. اليقين بالله في النصر.

﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط ۝ وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم ۝ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۝ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ۝ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ۝ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ۝ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ [آل عمران: ١٢٠-١٢٦].

﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [آل عمران: ١٦٠].

﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [آل عمران: ١٧٣].

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ۝ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾ [الأحزاب: ٢٢].

﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ [التوبة: ٤٠].

﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ۝ ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ۝ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ۝ وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ۝ إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام ۝ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾ [الأنفال: ٧-١٢].

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد: ٧].

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٣٩].

ب. الإخلاص.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

﴿قُل إِنِّي أُمِرتُ أَن أَعبُدَ اللَّهَ مُخلِصًا لَهُ الدّينَ ۝ وَأُمِرتُ لِأَن أَكونَ أَوَّلَ المُسلِمينَ ۝ قُل إِنِّي أَخافُ إِن عَصَيتُ رَبّي عَذابَ يَومٍ عَظيمٍ ۝ قُلِ اللَّهَ أَعبُدُ مُخلِصًا لَهُ دينِي﴾ [الزمر: ١١-١٤].

﴿وَلَقَد هَمَّت بِهِ وَهَمَّ بِها لَولا أَن رَأى بُرهانَ رَبِّهِ كَذلِكَ لِنَصرِفَ عَنهُ السّوءَ وَالفَحشاءَ إِنَّهُ مِن عِبادِنَا المُخلَصينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

﴿إِلّا عِبادَكَ مِنهُمُ المُخلَصينَ﴾ [الحجر: ٤٠].

﴿إِلّا عِبادَكَ مِنهُمُ المُخلَصينَ﴾ [ص: ٨٣].

وكيف كان الإخلاص مستثنى في سورة الصافات:

﴿إِلّا عِبادَ اللَّهِ المُخلَصينَ﴾ [الصافات: ٤٠]، لا استكبار وتكذيب.

﴿إِلّا عِبادَ اللَّهِ المُخلَصينَ﴾ [الصافات: ٧٤]، تصديق للمنذرين.

﴿إِلّا عِبادَ اللَّهِ المُخلَصينَ﴾ [الصافات: ١٢٨]، تصديق وإتباع.

﴿إِلّا عِبادَ اللَّهِ المُخلَصينَ﴾ [الصافات: ١٦٠]، توحيد لله وكذبهم.

ج. التفكر:

- ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣)أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)﴾ [النمل].
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

(٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤)وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥) ﴾ [الروم].

- ﴿ خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنها زَوجَها وَأَنزَلَ لَكُم مِنَ الأَنعامِ ثَمانِيَةَ أَزواجٍ يَخلُقُكُم في بُطونِ أُمَّهاتِكُم خَلقًا مِن بَعدِ خَلقٍ في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم لَهُ المُلكُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ فَأَنّىٰ تُصرَفونَ﴾ [الزمر:٦].
- ﴿ أَمَّن هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيلِ ساجِدًا وَقائِمًا يَحذَرُ الآخِرَةَ وَيَرجو رَحمَةَ رَبِّهِ قُل هَل يَستَوِي الَّذينَ يَعلَمونَ وَالَّذينَ لا يَعلَمونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلبابِ﴾ [الزمر:٩].
- ﴿ أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابيعَ فِي الأَرضِ ثُمَّ يُخرِجُ بِهِ زَرعًا مُختَلِفًا أَلوانُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَراهُ مُصفَرًّا ثُمَّ يَجعَلُهُ حُطامًا إِنَّ في ذٰلِكَ لَذِكرىٰ لِأُولِي الأَلبابِ ۝ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدرَهُ لِلإِسلامِ فَهُوَ عَلىٰ نورٍ مِن رَبِّهِ فَوَيلٌ لِلقاسِيَةِ قُلوبُهُم مِن ذِكرِ اللَّهِ أُولٰئِكَ في ضَلالٍ مُبينٍ﴾ [الزمر:٢١-٢٢].
- ﴿ وَلَئِن سَأَلتَهُم مَن خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ لَيَقولُنَّ اللَّهُ قُل أَفَرَأَيتُم ما تَدعونَ مِن دونِ اللَّهِ إِن أَرادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَل هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أَو أَرادَني بِرَحمَةٍ هَل هُنَّ مُمسِكاتُ رَحمَتِهِ قُل حَسبِيَ اللَّهُ عَلَيهِ يَتَوَكَّلُ المُتَوَكِّلونَ﴾ [الزمر:٣٨].
- ﴿ أَوَلَم يَعلَموا أَنَّ اللَّهَ يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ وَيَقدِرُ إِنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾ [الزمر:٥٢].
- ﴿وَمِن آياتِهِ الجَوارِ فِي البَحرِ كَالأَعلامِ﴾ [الشورى: ٣٢].
- ﴿وَمِن آياتِهِ خَلقُ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَما بَثَّ فيهِما مِن دابَّةٍ وَهُوَ عَلى جَمعِهِم إِذا يَشاءُ قَديرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].
- ﴿وَمِن آياتِهِ أَن يُرسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَلِيُذيقَكُم مِن رَحمَتِهِ وَلِتَجرِيَ الفُلكُ بِأَمرِهِ وَلِتَبتَغوا مِن فَضلِهِ وَلَعَلَّكُم تَشكُرونَ﴾ [الروم: ٤٦].
- ﴿وَمِن آياتِهِ اللَّيلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمسُ وَالقَمَرُ لا تَسجُدوا لِلشَّمسِ وَلا لِلقَمَرِ وَاسجُدوا لِلَّهِ الَّذي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُم إِيّاهُ تَعبُدونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

- ﴿وَمِن آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنزَلنا عَلَيهَا الماءَ اهتَزَّت وَرَبَت إِنَّ الَّذي أَحياها لَمُحيِي المَوتى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].
- ﴿أَوَلَم يَسيروا فِي الأَرضِ فَيَنظُروا كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِن قَبلِهِم كانوا أَشَدَّ مِنهُم قُوَّةً وَأَثارُوا الأَرضَ وَعَمَروها أَكثَرَ مِمّا عَمَروها وَجاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ فَما كانَ اللَّهُ لِيَظلِمَهُم وَلكِن كانوا أَنفُسَهُم يَظلِمونَ﴾ [الروم: ٩].
- ﴿أَوَلَم يَسيروا فِي الأَرضِ فَيَنظُروا كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِن قَبلِهِم وَكانوا أَشَدَّ مِنهُم قُوَّةً وَما كانَ اللَّهُ لِيُعجِزَهُ مِن شَيءٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الأَرضِ إِنَّهُ كانَ عَليمًا قَديرًا﴾ [فاطر: ٤٤].
- ﴿أَوَلَم يَسيروا فِي الأَرضِ فَيَنظُروا كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ كانوا مِن قَبلِهِم كانوا هُم أَشَدَّ مِنهُم قُوَّةً وَآثارًا فِي الأَرضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنوبِهِم وَما كانَ لَهُم مِنَ اللَّهِ مِن واقٍ﴾ [غافر: ٢١].
- ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذي حاجَّ إِبراهيمَ فِي رَبِّهِ أَن آتاهُ اللَّهُ المُلكَ إِذ قالَ إِبراهيمُ رَبِّيَ الَّذي يُحيي وَيُميتُ قالَ أَنا أُحيي وَأُميتُ قالَ إِبراهيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأتي بِالشَّمسِ مِنَ المَشرِقِ فَأتِ بِها مِنَ المَغرِبِ فَبُهِتَ الَّذي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].
- ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذينَ قيلَ لَهُم كُفّوا أَيدِيَكُم وَأَقيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ فَلَمّا كُتِبَ عَلَيهِمُ القِتالُ إِذا فَريقٌ مِنهُم يَخشَونَ النّاسَ كَخَشيَةِ اللَّهِ أَو أَشَدَّ خَشيَةً وَقالوا رَبَّنا لِمَ كَتَبتَ عَلَينَا القِتالَ لَولا أَخَّرتَنا إِلى أَجَلٍ قَريبٍ قُل مَتاعُ الدُّنيا قَليلٌ وَالآخِرَةُ خَيرٌ لِمَنِ اتَّقى وَلا تُظلَمونَ فَتيلًا﴾ [النساء: ٧٧].
- ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ بِالحَقِّ إِن يَشَأ يُذهِبكُم وَيَأتِ بِخَلقٍ جَديدٍ﴾[إبراهيم: ١٩].
- ﴿أَلَم تَرَ كَيفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصلُها ثابِتٌ وَفَرعُها فِي السَّماءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].
- ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصبِحُ الأَرضُ مُخضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطيفٌ خَبيرٌ﴾ [الحج: ٦٣].
- ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم ما فِي الأَرضِ وَالفُلكَ تَجري فِي البَحرِ بِأَمرِهِ وَيُمسِكُ السَّماءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرضِ إِلّا بِإِذنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنّاسِ لَرَءوفٌ رَحيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].
- ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ وَالطَّيرُ صافّاتٍ كُلٌّ قَد عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسبيحَهُ وَاللَّهُ عَليمٌ بِما يَفعَلونَ﴾ [النور: ٤١].

- ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزجي سَحابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَينَهُ ثُمَّ يَجعَلُهُ رُكامًا فَتَرَى الوَدقَ يَخرُجُ مِن خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِن جِبالٍ فيها مِن بَرَدٍ فَيُصيبُ بِهِ مَن يَشاءُ وَيَصرِفُهُ عَن مَن يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرقِهِ يَذهَبُ بِالأَبصارِ﴾ [النور: ٤٣].
- ﴿أَلَم تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَو شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنًا ثُمَّ جَعَلنَا الشَّمسَ عَلَيهِ دَليلًا﴾ [الفرقان: ٤٥].
- ﴿أَلَم تَرَوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرضِ وَأَسبَغَ عَلَيكُم نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً وَمِنَ النّاسِ مَن يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيرِ عِلمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتابٍ مُنيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].
- ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ يولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ وَيولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجري إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِما تَعمَلونَ خَبيرٌ﴾ [لقمان: ٢٩].
- ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ الفُلكَ تَجري فِي البَحرِ بِنِعمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِن آياتِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكورٍ﴾[لقمان: ٣١].
- ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخرَجنا بِهِ ثَمَراتٍ مُختَلِفًا أَلوانُها وَمِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بيضٌ وَحُمرٌ مُختَلِفٌ أَلوانُها وَغَرابيبُ سودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].
- ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابيعَ فِي الأَرضِ ثُمَّ يُخرِجُ بِهِ زَرعًا مُختَلِفًا أَلوانُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَراهُ مُصفَرًّا ثُمَّ يَجعَلُهُ حُطامًا إِنَّ في ذلِكَ لَذِكرى لِأُولِي الأَلبابِ﴾ [الزمر: ٢١].
- ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرضِ ما يَكونُ مِن نَجوى ثَلاثَةٍ إِلّا هُوَ رابِعُهُم وَلا خَمسَةٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُم وَلا أَدنى مِن ذلِكَ وَلا أَكثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُم أَينَ ما كانوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِما عَمِلوا يَومَ القِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ ﴾ [المجادلة: ٧].
- ﴿أَلَم تَرَوا كَيفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبعَ سَماواتٍ طِباقًا﴾ [نوح: ١٥].
- ﴿وَما أَرسَلنا مِن قَبلِكَ إِلّا رِجالًا نوحي إِلَيهِم مِن أَهلِ القُرى أَفَلَم يَسيروا فِي الأَرضِ فَيَنظُروا كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِن قَبلِهِم وَلَدارُ الآخِرَةِ خَيرٌ لِلَّذينَ اتَّقَوا أَفَلا تَعقِلونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].
- ﴿أَفَلَم يَسيروا فِي الأَرضِ فَتَكونَ لَهُم قُلوبٌ يَعقِلونَ بِها أَو آذانٌ يَسمَعونَ بِها فَإِنَّها لا تَعمَى الأَبصارُ وَلكِن تَعمَى القُلوبُ الَّتي فِي الصُّدورِ﴾ [الحج: ٤٦].

- ﴿أَفَلَم يَسيروا فِي الأَرضِ فَيَنظُروا كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِن قَبلِهِم كانوا أَكثَرَ مِنهُم وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثارًا فِي الأَرضِ فَما أَغنى عَنهُم ما كانوا يَكسِبونَ﴾ [غافر: ٨٢].
- ﴿أَفَلَم يَسيروا فِي الأَرضِ فَيَنظُروا كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِن قَبلِهِم دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيهِم وَلِلكافِرينَ أَمثالُها﴾ [محمد: ١٠].
- ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ وَلَو كانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدوا فيهِ اختِلافًا كَثيرًا﴾ [النساء: ٨٢].
- ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أَم عَلى قُلوبٍ أَقفالُها﴾ [محمد: ٢٤].
- ﴿قُلِ انظُروا ماذا فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ وَما تُغنِي الآياتُ وَالنُّذُرُ عَن قَومٍ لا يُؤمِنونَ﴾ [يونس: ١٠١].
- ﴿إِنَّ فِي خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَاختِلافِ اللَّيلِ وَالنَّهارِ وَالفُلكِ الَّتي تَجري فِي البَحرِ بِما يَنفَعُ النّاسَ وَما أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِن ماءٍ فَأَحيا بِهِ الأَرضَ بَعدَ مَوتِها وَبَثَّ فيها مِن كُلِّ دابَّةٍ وَتَصريفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ المُسَخَّرِ بَينَ السَّماءِ وَالأَرضِ لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلونَ﴾[البقرة: ١٦٤].
- ﴿يَسأَلونَكَ عَنِ الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فيهِما إِثمٌ كَبيرٌ وَمَنافِعُ لِلنّاسِ وَإِثمُهُما أَكبَرُ مِن نَفعِهِما وَيَسأَلونَكَ ماذا يُنفِقونَ قُلِ العَفوَ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرونَ﴾[البقرة: ٢١٩].
- ﴿إِنَّ فِي خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَاختِلافِ اللَّيلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الأَلبابِ﴾[آل عمران: ١٩٠].
- ﴿وَهُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ النُّجومَ لِتَهتَدوا بِها في ظُلُماتِ البَرِّ وَالبَحرِ قَد فَصَّلنَا الآياتِ لِقَومٍ يَعلَمونَ ۝ وَهُوَ الَّذي أَنشَأَكُم مِن نَفسٍ واحِدَةٍ فَمُستَقَرٌّ وَمُستَودَعٌ قَد فَصَّلنَا الآياتِ لِقَومٍ يَفقَهونَ ۝ وَهُوَ الَّذي أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخرَجنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيءٍ فَأَخرَجنا مِنهُ خَضِرًا نُخرِجُ مِنهُ حَبًّا مُتَراكِبًا وَمِنَ النَّخلِ مِن طَلعِها قِنوانٌ دانِيَةٌ وَجَنّاتٍ مِن أَعنابٍ وَالزَّيتونَ وَالرُّمّانَ مُشتَبِهًا وَغَيرَ مُتَشابِهٍ انظُروا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثمَرَ وَيَنعِهِ إِنَّ في ذلِكُم لَآياتٍ لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾[الأنعام: ٩٧-٩٩].
- ﴿هُوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمسَ ضِياءً وَالقَمَرَ نورًا وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعلَموا عَدَدَ السِّنينَ وَالحِسابَ ما خَلَقَ اللَّهُ ذلِكَ إِلّا بِالحَقِّ يُفَصِّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَعلَمونَ ۝ إِنَّ فِي اختِلافِ اللَّيلِ وَالنَّهارِ وَما خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَّقونَ﴾[يونس: ٥-٦].

- ﴿إِنَّما مَثَلُ الحَياةِ الدُّنيا كَماءٍ أَنزَلناهُ مِنَ السَّماءِ فَاختَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرضِ مِمّا يَأكُلُ النّاسُ وَالأَنعامُ حَتّى إِذا أَخَذَتِ الأَرضُ زُخرُفَها وَازَّيَّنَت وَظَنَّ أَهلُها أَنَّهُم قادِرونَ عَلَيها أَتاها أَمرُنا لَيلًا أَو نَهارًا فَجَعَلناها حَصيدًا كَأَن لَم تَغنَ بِالأَمسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ﴾[يونس: ٢٤].
- ﴿هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ لِتَسكُنوا فيهِ وَالنَّهارَ مُبصِرًا إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَسمَعونَ﴾[يونس: ٦٧].
- ﴿اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَونَها ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجري لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُم بِلِقاءِ رَبِّكُم توقِنونَ ۝ وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرضَ وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ وَأَنهارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فيها زَوجَينِ اثنَينِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ ۝ وَفِي الأَرضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنّاتٌ مِن أَعنابٍ وَزَرعٌ وَنَخيلٌ صِنوانٌ وَغَيرُ صِنوانٍ يُسقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعضَها عَلى بَعضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلونَ﴾[الرعد: ٢-٤].
- ﴿إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِلمُتَوَسِّمينَ﴾[الحجر: ٧٥].
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمرِهِ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلونَ ۝ وَما ذَرَأَ لَكُم فِي الأَرضِ مُختَلِفًا أَلوانُهُ إِنَّ في ذلِكَ لَآيَةً لِقَومٍ يَذَّكَّرونَ﴾[النحل: ١٢-١٣].
- ﴿أَلَم يَرَوا إِلَى الطَّيرِ مُسَخَّراتٍ في جَوِّ السَّماءِ ما يُمسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾[النحل: ٧٩].
- ﴿كُلوا وَارعَوا أَنعامَكُم إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى﴾[طه: ٥٤].
- ﴿أَفَلَم يَهدِ لَهُم كَم أَهلَكنا قَبلَهُم مِنَ القُرونِ يَمشونَ في مَساكِنِهِم إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى﴾[طه: ١٢٨].
- ﴿أَلَم يَرَوا أَنّا جَعَلنَا اللَّيلَ لِيَسكُنوا فيهِ وَالنَّهارَ مُبصِرًا إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾[النمل: ٨٦].
- ﴿وَمِن آياتِهِ أَن خَلَقَ لَكُم مِن أَنفُسِكُم أَزواجًا لِتَسكُنوا إِلَيها وَجَعَلَ بَينَكُم مَوَدَّةً وَرَحمَةً إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ ۝ وَمِن آياتِهِ خَلقُ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَاختِلافُ أَلسِنَتِكُم وَأَلوانِكُم إِنَّ في

ذلِكَ لَآياتٍ لِلعالِمينَ۝ وَمِن آياتِهِ مَنامُكُم بِاللَّيلِ وَالنَّهارِ وَابتِغاؤُكُم مِن فَضلِهِ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَسمَعونَ۝ وَمِن آياتِهِ يُريكُمُ البَرقَ خَوفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحيي بِهِ الأَرضَ بَعدَ مَوتِها إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلونَ﴾[الروم: ٢١-٢٤].

- ﴿أَوَلَم يَرَوا أَنَّ اللَّهَ يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ وَيَقدِرُ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾[الروم: ٣٧].
- ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حينَ مَوتِها وَالَّتي لَم تَمُت في مَنامِها فَيُمسِكُ الَّتي قَضى عَلَيهَا المَوتَ وَيُرسِلُ الأُخرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ﴾[الزمر: ٤٢].
- ﴿أَوَلَم يَعلَموا أَنَّ اللَّهَ يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ وَيَقدِرُ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾[الزمر: ٥٢].
- ﴿إِنَّ فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ لَآياتٍ لِلمُؤمِنينَ﴾[الجاثية: ٣].
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرضِ جَميعًا مِنهُ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ﴾[الجاثية: ١٣].
- ﴿وَلَقَد أَهلَكنا ما حَولَكُم مِنَ القُرى وَصَرَّفنَا الآياتِ لَعَلَّهُم يَرجِعونَ﴾[الأحقاف: ٢٧].
- ﴿اعلَموا أَنَّ اللَّهَ يُحيِي الأَرضَ بَعدَ مَوتِها قَد بَيَّنّا لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُم تَعقِلونَ﴾ [الحديد: ١٧].
- ﴿أَفَرَأَيتُم ما تُمنونَ۝ أَأَنتُم تَخلُقونَهُ أَم نَحنُ الخالِقونَ۝ نَحنُ قَدَّرنا بَينَكُمُ المَوتَ وَما نَحنُ بِمَسبوقينَ۝ عَلى أَن نُبَدِّلَ أَمثالَكُم وَنُنشِئَكُم في ما لا تَعلَمونَ۝ وَلَقَد عَلِمتُمُ النَّشأَةَ الأولى فَلَولا تَذَكَّرونَ۝ أَفَرَأَيتُم ما تَحرُثونَ۝ أَأَنتُم تَزرَعونَهُ أَم نَحنُ الزّارِعونَ۝ لَو نَشاءُ لَجَعَلناهُ حُطامًا فَظَلتُم تَفَكَّهونَ۝ إِنّا لَمُغرَمونَ۝ بَل نَحنُ مَحرومونَ۝ أَفَرَأَيتُمُ الماءَ الَّذي تَشرَبونَ۝ أَأَنتُم أَنزَلتُموهُ مِنَ المُزنِ أَم نَحنُ المُنزِلونَ۝ لَو نَشاءُ جَعَلناهُ أُجاجًا فَلَولا تَشكُرونَ۝ أَفَرَأَيتُمُ النّارَ الَّتي تورونَ۝ أَأَنتُم أَنشَأتُم شَجَرَتَها أَم نَحنُ المُنشِئونَ۝ نَحنُ جَعَلناها تَذكِرَةً وَمَتاعًا لِلمُقوينَ۝ فَسَبِّح بِاسمِ رَبِّكَ العَظيمِ﴾[الواقعة: ٥٨-٧٤].

د. الجحود وكفر النعمة:

- ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٢]، في كل الحالات يرجو ويدعو!

- ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].
- ﴿ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٣].
- ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].
- ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ [الإسراء: ٨٣].
- ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم٣٣]،﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦].
- ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨].
- ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١].
- ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢١].
- ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦].
- ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۝ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣-٥٤].
- ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، لا يكفي معرفة الحق، بل لا بد بالعمل به وتفعيله.
- ﴿وَإِذا غَشِيَهُم مَوجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخلِصينَ لَهُ الدّينَ فَلَمّا نَجّاهُم إِلَى البَرِّ فَمِنهُم مُقتَصِدٌ وَما يَجحَدُ بِآياتِنا إِلّا كُلُّ خَتّارٍ كَفورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].

- ﴿وَلَئِن أَذَقنَا الإِنسانَ مِنّا رَحمَةً ثُمَّ نَزَعناها مِنهُ إِنَّهُ لَيَئوسٌ كَفورٌ ۝ وَلَئِن أَذَقناهُ نَعماءَ بَعدَ ضَرّاءَ مَسَّتهُ لَيَقولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخورٌ﴾ [هود: ٩–١٠].
- ﴿فَأَمَّا الإِنسانُ إِذا مَا ابتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقولُ رَبّي أَكرَمَنِ ۝ وَأَمّا إِذا مَا ابتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيهِ رِزقَهُ فَيَقولُ رَبّي أَهانَنِ﴾ [الفجر: ١٥–١٦].

هـ. قيام الليل:

- ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩]، لما علموا قاموا.
- ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة:١٦]، انظر ما أعد الله لهم.
- ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان:٦٤]، باتوا سجداً وبات الناس نياماً.
- ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات:١٧]، يستثمرون الليل للمناجاة، حتى قلّ نومهم.
- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان:٢٦].
- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩].
- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق:٤٠].
- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور:٤٩].

و. الأهل والأبناء:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن :١٤]،﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم :٦]،﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[المنافقون٩]،﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾

[التحريم: ١٠]،﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]،﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤]،﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[طه: ١٣٢]، الحذر من الزوجات والأولاد لا يعني ترك التحريص عليهم، و التحريص عليهم لا يعني الاعتقاد بضرورة صلاحهم فإن القلوب بيد الله، وانصرافهم عن الحق الذي عندك فقد سُبقت بالرسل من قبلك والله يحذرك فتنتهم إذا ضلوا.

❖ الخاتمة:

من المهم التنوع في موارد الإفادة من وسائل الانتفاع في القرآن، وأن يكون لكل منها ورداً لصاحبه، ليبقى أثر القرآن على العبد بالتثبيت والانتفاع، قال سبحانه: ﴿وَقالَ الَّذينَ كَفَروا لَولا نُزِّلَ عَلَيهِ القُرآنُ جُملَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلناهُ تَرتيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، وهذا رد على الذين كفروا لما تساءلوا: لم لا ينزل القرآن دفعة واحدة، ولم يُنزل على رسول الله مفرقاً؟ فكان الجواب للتثبيت فهو كالداعم والغذاء والنفس والسلام للعبد.

وفي المقابل فإن القرآن يعمل عمله في نفوس الظالمين بالخسران والوبال ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ وَلا يَزيدُ الظّالِمينَ إِلّا خَسارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وتأمل قول الحق: ﴿وَقُرآنًا فَرَقناهُ لِتَقرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلى مُكثٍ وَنَزَّلناهُ تَنزيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، أي على ترسل ومهل وقد نُزل منجماً لأنه أدعى للفهم والتدبر.

لذا فإن ترك هذا الورد يُعد من هجر القرآن الذي سيشكو رسول الله لربه على إثره، قال سبحانه: ﴿وَقالَ الرَّسولُ يا رَبِّ إِنَّ قَومِي اتَّخَذوا هذَا القُرآنَ مَهجورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] ، والهجر لا يقيد بالتلاوة، فربما تدبره أو حفظه أو التحاكم إليه وغير ذلك.

عبد الله.. إذا لم تحن تلك اللحظة التي بكيت خاشعاً لله عند سماع آية من كتاب الله فراجع ذلك الإيمان ﴿قُل آمِنوا بِهِ أَو لا تُؤمِنوا إِنَّ الَّذينَ أوتُوا العِلمَ مِن قَبلِهِ إِذا يُتلى عَلَيهِم يَخِرّونَ لِلأَذقانِ سُجَّدًا۝ وَيَقولونَ سُبحانَ رَبِّنا إِن كانَ وَعدُ رَبِّنا لَمَفعولًا۝ وَيَخِرّونَ لِلأَذقانِ يَبكونَ وَيَزيدُهُم خُشوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]، فهذا عمل القرآن في النفوس، يورث الخشوع والبكاء ومن ثم الهداية والطمأنينة، وتأمل هذه الآيات:﴿الَّذينَ آمَنوا وَتَطمَئِنُّ قُلوبُهُم بِذِكرِ اللَّهِ أَلا بِذِكرِ اللَّهِ تَطمَئِنُّ القُلوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال

سبحانه: ﴿إِنَّمَا المُؤمِنونَ الَّذينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَت قُلوبُهُم وَإِذا تُلِيَت عَلَيهِم آياتُهُ زادَتهُم إيمانًا وَعَلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وأنعم النظر في قوله جل وعلا: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَديثِ كِتابًا مُتَشابِهًا مَثانِيَ تَقشَعِرُّ مِنهُ جُلودُ الَّذينَ يَخشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلينُ جُلودُهُم وَقُلوبُهُم إِلى ذِكرِ اللَّهِ ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهدي بِهِ مَن يَشاءُ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِن هادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، هذا والله عمل القرآن في النفوس، فإذا لم يوعَظ المؤمن بالقرآن ولم يهتدي بالقرآن ﴿ فَبِأَيِّ حَديثٍ بَعدَ اللَّهِ وَآياتِهِ يُؤمِنونَ﴾ [الجاثية: ٦].

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا... أمين.

وكتبه سعيد بن محمد آل ثابت